جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

فلسفة عامة

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

قلالة مروة سلسبيل

يوم:19/06/2023

نقد بول ريكور للفلسفة البنيوية

لجنة المناقشة:

قدور رشيد	أ. مح ب	بسكرة	مناقش
معاريف أحمد	أ. مح أ	بسكرة	رئيس
عقيبي لزهر	أ. مح أ	بسكرة	مقرر

السنة الجامعية:2022م/2023م

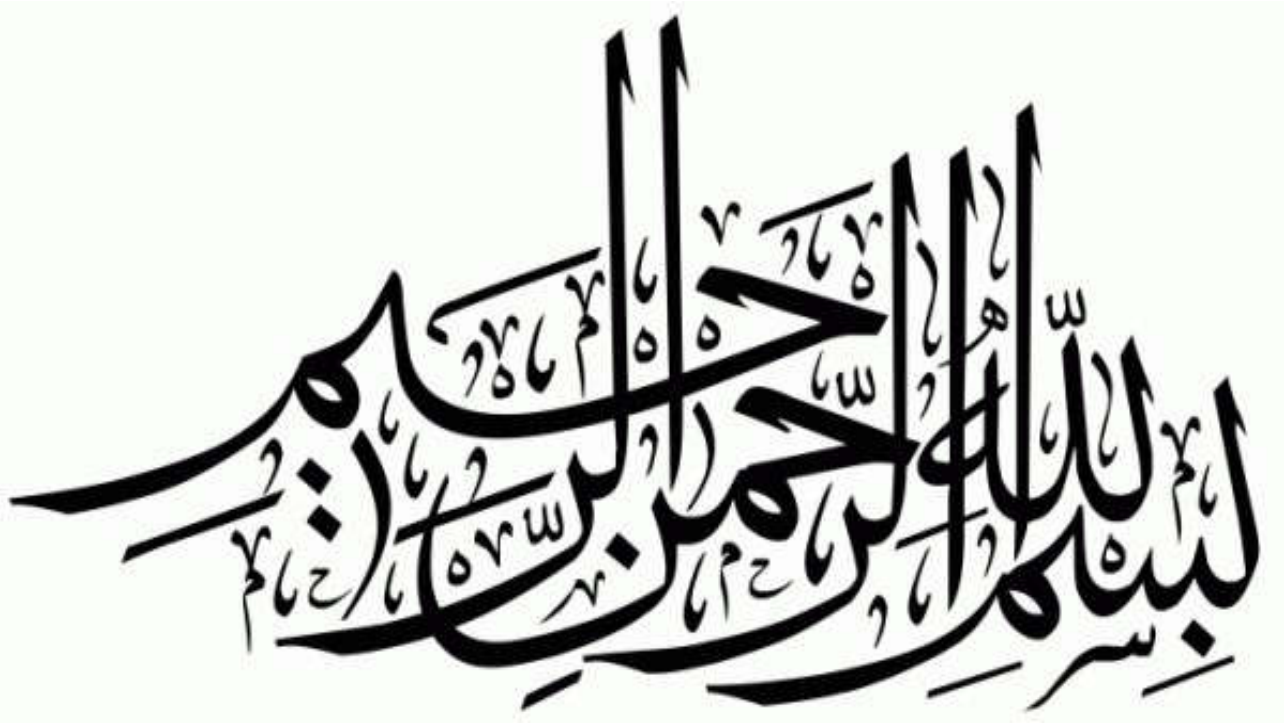
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَقُـل رَّبِّ زِدْنِي عِـلْـمًا }

صدق الله العظيم

(سورة طه الآية 114)

شكر وتقدير

نحمد الله عزّ وجل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي، والذي ألهمنا الصحّة والعافية والعزيمة

فالحمد لله حمدًا كثيرًا

وإذا كان علي أنّ أشكر أحدًا بعد الله الذي وفقني لإنجاز هذا البحث فإني أشكر الأستاذ الكريم الدكتور عقيبي لزهر الذي شجعني على البحث في هذا الموضوع، ولم يبخل علي بملاحظاته القيمة

فجزاه الله خيرا وأطال في عمره،

كما أشكر كل أستاذ سعى في تعليمي وقدم لي علما نافعا ودروسًا هادفة إلى كل معلم تتلمذتُ على يديه ودخلت قاعة درسه

ولكل من ساهم في هذا البحث سواء من قريب أو بعيد.

إهـــــداء

{ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

الحمد لله ما إنتهى درب وما خُتم جهد ولا تم سعيٌ إلا بفضله

الحمد لله الذي يسر لنا البدايات وبلغنا النهايات

عظم المُراد فهَان الطريق

أهدي ثمرة جهدي ونجاحي إلى الوالدين الكريمين

إلى معلمي الأول "قلالة عبد القادر" لا أستطيع أن أقول لك شكرا فهي تُقال إلا في نهاية الأحداث وأنا أرى نفسي مزالت في البداية، أنهلُ من خيرك وعطائك الذي لا ينضبُ وأظلُ أتعلمُ منك أكثر، إلى أبي أدامك اللهُ ورعاك لتكون منارة دائمة في حياتي.

إلى " فاطمة" الأم المكافحة التي منحتني القوة والعزيمة لمواصلة دربي ودفعتني للنجاح، أمي أنت الفضلُ، وأنتَ الخيرُ، وأنتَ الكلُ، أدامك الله وحفظك أنت وأبي إن إنتاجي ما هو إلا تربيتكم، أنتم من وهبتومي القلم فشكرا.

إلى جدي الغالي أدامك الله وأطال في عمرك

إلى المحبة التي لا تنضبُ، والخيرُ بلا حدود والسند في الحياة إلى إخوتي "عائشة" وزوجها الكريم "بن عبد الله عبد العزيز" وأختي "رزيقة" وزوجها الكريم "قصباية محمد نبيل" إلى أختي "إيمان" وصغيرتنا "رحماء" شفاك الله.

وشكر خاص إلى براعم العائلة إلى كل من "آلاء الرحمان" و"أروى"، و"أحمد الأمين"، "أريج" وإلى الحفيد الجديد "عبد القادر" اللهم بارك لهم ووفقهم.

كما أرفع كلمة شكر خاص إلى الخال والأخ "عقيبي عز الدين" الذي مد لي يد العون قدر المستطاع

إلى كل الأهل والأصدقاء الذين رافقوني وشجعوا خطوتي عندما غالبتها الأيام كُثر أنتم لكم مني حبي وإمتناني .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
آية من القرآن الكريم	
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: البنيوية بين النظرية والمنهج	
تمهيد	5
المبحث الأول: إنبثاق البنيوية في الفلسفة الغربية الحديثة	6
1-عند فردينان دي سوسير	6-17
2- عند رومان جاكبسون	18-21
3- عند كلود ليفي ستراوس	22-24
المبحث الثاني: في ماهية النظرية البنيوية	25
1-مفهوم البنيوية	25-27
2- مبادئ البنيوية	28-29
3- إتجاهات البنيوية	30-41
المبحث الثالث: ماهية المنهج البنيوي	42
1- مفهوم المنهج البنيوي	42-43
2- خصائص المنهجج البنيوي	44-47
3- خطوات المنهج البنيوي	47-49
خلاصة	50
الفصل الثاني: تجاوز بول ريكور للنظرية البنيوية	
تمهيد	52

المبحث الأول: نقد مسلمات النظرية البنيوية	53
1- ثنائية اللغة	53-55
2- اختزال الجوانب الجوهرية في الجوانب الشكلية	55-56
3- مسلمة إنغلاق العلامة	56-58
4- التزامن يسبق التعاقب	59-61
5- علم الدلالة في مقابل السيمياء	61-62
المبحث الثاني: نقد نتائج النظرية البنيوية	63
1- إهمال دور الذات	63-65
2- إهمال دور التاريخ	66-69
3- إهمال الظروف الخارجية في التفسير	69-71
4- الطابع الإيديولوجي المقنع	72-73
خلاصة	74
الفصل الثالث:تقويم المنهج البنيوي في هرمينوطيقا بول ريكور	
تمهيد	76
المبحث الأول: في مقولة التفسير	77
1- تحصيل الدلالة الموضوعية للنص	77-79
2- إدراك آثار الدلالة بطريقة محايثة	80-82
3- إستثمار مفاهيم المنهج البنيوي	83-85
المبحث الثاني: توسيع مجال تطبيق المنهج البنيوي	86
1- في مجال نظرية النص	86-92
2- في مجال نظرية التاريخ	93-94
3- في مجال نظرية الفعل	94-96
4- في مجال الترجمة	96-98
خلاصة	99
خاتمة	101-103

قائمة المصادر والمراجع	105-109
ملخص	

مقدمة

إزدهرت البنيوية كفلسفة في الستينات، كرد فعل على الإنتفاخ الإيديولوجي لدى المعسكر الشرقي، ورد فعل على التضخيم الذاتي في وجودية المعسكر الغربي، حيث ظهرت البنيوية تتويجًا لأفكار العالم السويسري فردينان دي سوسير، واستمرت إلى ما يُقارب من نصف قرن قبل أن تصل إلى ماهي عليه في كتابات كل من رولان بارت وميشال فوكو وجان لاكان وليفي ستراوس.

في هذه الفترة بالذات بدأ إهتمام بول ريكور الفيلسوف الفرنسي بتأويل النصوص الدينية، وربما كانت كتاباته الأولى مستغرقة بنوع من التأمل الذاتي القائم على الأخلاق المسيحية، ثم ما لبث أن إهتم بالبنيوية وتأثر بمفكريها مثل قريماس وليفي ستراوس ورولان بارت وغيرهم، ومن هنا ظهر بول ريكور كمفكر هرمينوطيقي أبى إلا أن يستثمر مقولات البنيوية، بالرغم من تضاؤل قيمتها بمجئ مناهج معاكسة لها، إلا أن الإرث البنيوي ظل يلقي سحره عليها. وحينئذٍ بدأ بول ريكور يطور مشروعه الفلسفي الخاص في مضمار الفلسفة التأويلية والذي تميز بإثارة تناقضات الفلسفة الغربية المعاصرة حيث يستثمرُ الإتجاهات الحديثة: البنيوية، الوجودية، والتأويلية، والماركسية، ونظرية الثقافة، والتفكيك، والتحليل اللغوي، ونظريات اللغة وأنثروبولوجيا الدين ...لقد توصل من خلال ذلك كله إلى بناء نسق فلسفي فريد من نوعه قوامه الجدال والحوار مع كل تلك التيارات والمعارف، بالإستثمار في بعض أفكارها وبإبطال أخرى، وتشكل هرمينوطيقاهُ عودة من نوع ثاني للموروث الفكري الغربي من جهة، وتجاوزًا نقديا لتلك النظريات من جهة أخرى.

ونتيجة للتغيرات الحاصلة في القرن العشرين ينطلق بول ريكور في فلسفته من فكرة أساسية، وهي أن الوعي في المشروع البنيوي هو وعي خارجي قوامه التوجه نحو الداخل، أي نحو إنغلاق العلامة على ذاتها وبالتالي إنغلاق النص. أما الوعي في المشروع الهرمينوطيقي هو وعي خارجي قوامه التوجه نحو الخارج، أي نحو إنفتاح العلامة وربطها بالعالم الخارجي. من هنا تحاول الهرمينوطيقا بكل نصاعتها من خلال الوعي بأزمة المناهج

المغلقة كالبنيوية ومحاولة تجاوزها، إنها تسعى حثيثا إلى ربط اللغة بالعالم الخارجي ربطا قوامه الحرية والإنفتاح حتى تصبح صورة معيشة من صور الحياة.

وعلى هذا الأساس وجد ريكور أنه من الضروري من أجل نقد الأسس المعرفية لعلم اللغة الحديث، أن يعيد النظر في المسلمات الأساسية التي يقوم عليها، ويعتبرها البنيويون الجوهر الضمني في تناولهم، ولم يعد بول ريكور للتطبيقات الفرعية للبنيوية في الأنثروبولوجيا والأدب وعلم النفس، بل توجه للنموذج البنيوي الذي صاغه فرديناند دي سوسير،ليضعه تحت طائلة النقد الفلسفي.

ولعل من الأسباب التي دعتنا إلى إنجاز هذا العمل هي محاولة الاطلاع على حوار ريكور مع إحدى التأويلات الفلسفية في عصره، وكيف إستثمرها في بناء نظريته في التأويل، ولم يكن الدافع العلمي فقط هو ما شكل حافزا معنويا في إختيار هذا الموضوع للبحث بل كان هذ الإختيار صادر عن قناعة شخصية بأولوية دراسة المناهج التي أخذها ريكور لتطوير مشروعه الهرمينوطيقي.

ولما كان موضوع البحث يتعلق بنقد بول ريكور للبنيوية، فإنّنا في هذه المذكرة حاولنا البحث عن الأسباب الحقيقية والخلفيات الفلسفية العميقة التي دفعت بريكور إلى إصدار الأحكام في حق البنيوية، وذلك بوضع المبادئ التي ترتكز عليها على محكّ النقد بهدف إثارة النقاش، وفتح باب التساؤلات، ولعل أهم تساؤل يطرح نفسه كإشكالية محورية لهذا البحث هو:

***هل نقد ريكور للبنيوية يطال النظرية أم المنهج أو كلاهما معا؟**

وتندرج ضمن الإشكالية **مشكلات فرعية** أخرى التالية:

* هل البنيوية مجرد نظرية فلسفية أم أنها تقوم على منهج في قراءة النص؟
* فيم وجه بول ريكور نقده للنظرية البنيوية؟
* ما طبيعة نقد ريكور للمنهج البنيوي؟

تجدر الإشارة إلى **المنهج المتبع** في تحليل هذه المشكلات، وهو المنهج التحليلي، وعليه يترتب على ذلك الأخذ **بالخطة المنهجية** التالية:

مقدمة تطرح الأفكار الأساسية لموضوع البحث وتشير إلى منهجه التحليلي.

الفصل الأول يتضمن البنيوية كنظرية وكمنهج من حيث أنهما ماهية. ويحلل الفصل الثاني أسئلة النقد التي يطرحها بول ريكور للبنيوية كنظرية وبالأخص للمسلمات الأساسية التي تقوم عليها، أما الفصل الثالث يحلل تقويم ريكور للبنيوية بوصفها منهجا، في مجالات جديدة يُطبق على مستواها المنهج البنيوي كمجال النصوص الدينية ومجال التاريخ ومجال الترجمة ومجال الفعل الانساني. وقد ختمت كل فصل بخلاصة لأهم النقاط والنتائج المستخلصة.

وأخيرا خاتمة تتضمن أهم النتائج التي إنتهى إليها البحث.

واعتمدنا في هذه الدراسة أيضا على **مجموعة من المصادر** من بينها: كتاب من النص إلى الفعل لبول ريكور Du texte à l'action، وكتاب نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، وصراع التأويلات، وكتاب دروس في الألسنية العامة لفردينان دي سوسير، ومن بين المراجع: كتاب جدلية الفهم والتفسير لعقيبي لزهر، وأيضا كتاب مبادئ اللسانيات العامة لطيب دبه.

وكأي بحث علمي لا يخلو **من صعوبات** حيث واجهتنا العديد من الصعوبات أثناء إعدادنا للبحث، من بينها شساعة مجال الموضوع المدروس وصعوبة الإمساك بتفاصيله، أيضا صعوبة فهم فكر الفيلسوف بول ريكور وصعوبة فهم نصوصه، لأنها كثيرا ما تدرج مفاهيم وآراء و مناهج التأويلات الفلسفية المختلفة، حيث تميز بترحاله وتنقله بينها، وبغزارة إنتاجه. بالإضافة إلى أن كل دراسات ومؤلفات بول ريكور مكتوبة باللغة الأجنبية (الفرنسية) بالدرجة الأولى، فلم نتمكن من الإطّلاع على الدّراسات الأساسية لبول ريكور في صيغتها الأصلية، وإنما إعتمدنا على الصيغة المترجمة.

الفصل الأول:

البنيوية بين النظرية والمنهج

تمهيد:

لقد تميز الفكر الفلسفي في كل الحقب الفلسفية المختلفة، بداية من العصور الفلسفية القديمة إلى غاية عصر النهضة بالإشتغال على البحث في حقيقة الكون والوجود والمصير وغيرها... إلى غاية ظهور الوجودية والماركسية إنطلاقا من الحرب العالمية الثانية، فتغير مجرى التفكير الفلسفي، وكان ذلك واضحا من خلال إهتمام الوجودية بدراسة الإنسان بالإضافة إلى التطور المادي الذي قدمته المارسكية، ولقد كان لا بد من الإتيان بفلسفة جديدة تعبر عن الإنفتاح وتسعى إلى الرقي والتقدم، وهنا ظهرت البنيوية وإزدهرت في أوائل السبعينيات من القرن المنصرم، وإتجهت للبحث في عدد من العلوم الإنسانية كالفلسفة وعلم الإجتماع والأنثربولوجيا وعلم النفس وعلم اللغة، وما يهمنا في هذا الفصل هو توضيح تسربها إلى هذا العلم الأخير، وذلك لأن الألسنية كانت بمثابة نموذج علمي للبنيوية، فالمنهج البنيوي هو منهج الألسني في حد ذاته نسبة إلى ما حققته اللسانيات الحديثة على يد فردينان دي سوسير من تقدم علمي،بإعتبار اللسانيات البنيوية أحد المدارس الهامة على صعيد الألسنية الحديثة، حيث تحليل ذلك النموذج اللغوي للبنيوية يتطلب الوقوف على مرجعياته الفكرية الأساسية، ومن ثم تحليل نظريته، وبالتالي مفهومها ومبادئها، وأخيرا طبيعة المنهج الذي تقوم عليه.

المبحث الأول: المصادر المؤسسة للنظرية البنيوية

المطلب الأول: عند فرديناند دي سوسير

لقد مثلت اللسانيات محورًا أساسيا بالنسبة للبنيوية، واللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية وصفية بعيدة عن الأحكام المعيارية، "هي علم يهتم بدراسة اللغة من حيث تراكيبها وتطورها وعلاقات اللغات فيما بينها"[1] والموضوع الجوهري للسانيات يتمثل في دراسة بنية اللغة على أساس أنها بنية قائمة بذاتها ولذاتها فهي أداة لكل ما هو دال، وهذه الأداة هي التي تحقق عملية التواصل عبر نظام من الرموز.

واللسانيات السوسرية نسبة إلى واضع مبادئها فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure*، وهي اللسانيات البنيوية. ويتفقُ معظم الباحثين في الدرس اللساني على أن فرديناند دي سوسير يعد رائد علم اللغة الحديث الذي تتحدد معالمه في كتابه الشهير درس في علم اللغة العام، كما يعد الأب الحقيقي للتيار الفكري والنقدي الذي شاع تحت اسم البنيوية، ولقد درس علم اللغة العام بوصفه العلم الذي يدرس اللغة وليس تطورها، أي البحث عن اللغة في ذاتها من خلال التعرف على بنيتها بوصفها نظاما قائما بذاته"[2]، بمعنى أن اللغة عنصر إجتماعي موجود عند الجميع، كما أنها إنسانية أما الكلام هو المظهر الفردي وهو عبارة عن رموز تعبر عن أفكار، وبالتالي عامة الناس تستعمل اللغة للدلالة عن الكلام باعتباره وسيلة للتواصل.

إنّ من أهّم المنطلقات الجديدة والحديثة في البحث اللغوي عند سوسير هو تحديده لموضوع اللسانيات وهو دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، وكان من اللازم أن يحدد الأبعاد المعرفية

---

[1] عبد الغني أبو العزم، معجم الغني الزاهر، مؤسسة الغني للنشر والتوزيع، ط1، 2013م، الرباط، ص112.

* فردينا ندي سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913)، عالم لغوي سويسري الأصل، مؤسس علم اللغة الحديث، أهم أعماله:"دروس في اللسانيات العامة –Cours De linguistique générale"

[2] زكريا ابراهيم، مشكلة البنائية، مكتبة مصر، (د.ط)، 1975م، القاهرة، مصر، ص45.

للنظرية اللسانية البنيوية، وإنطلق في هذا من تصنيف علم اللسان وفروعه وعلاقته بالعلوم الأخرى، وإعتبر اللغة أساس لفهم التصور من ذاتها ولذاتها.

ولقد تسربت البنيوية إلى شتى ميادين العلوم الإنسانية كالفلسفة وعلم النفس وعلم الإجتماع وعلم اللغة، هذا الأخير الذي سنخصص له جزءا من هذا البحث، وذلك لأن الألسنية كانت بمثابة نموذج علمي للبنيوية، فما حققه دي سوسير من تطور واضح في اللسانيات الحديثة جعلها تحقق الإستقلالية والموضوعية بإعتبار اللسانيات البنيوية أحد المدارس الهامة على صعيد الألسنية الحديثة.

"إن البنيوية بمعناها الواسع، هي طريقة بحث في الواقع ليس في الأشياء الفردية بل في العلاقات بينها."[1] وهو ما يعبر عنه في الطرح السوسري بالنسق Systéme، فالبنية Structure عنده "نسق من العلاقات الباطنية، له قوانينه الخاصة المحايثة، من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والإنتظام الذاتي، على نحو يفظي فيهأي تغير للعلاقات إلى تغير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على معنى معين."[2] كما أن مصطلح البنية لم يظهر في لسانيات دي سوسير، مما يعني أن الفلسفة البنيوية لم تبدأ من حيث المفهوم.

ويعد دي سوسير فرديناند أول من دعا إلى الدراسة الوصفية للغة بدلا من دراستها دراسة تاريخية، على اعتبار أنها ظاهرة اجتماعية فقد سعى إلى وضع أسس منهجية للتحليل اللغوي إضافة إلى وصف اللغات الإنسانية للوصول إلى الكليات المشتركة فيما بينها، فضلا عن العوامل المؤثرة في اللغة كالعوامل النفسية والجغرافية والإجتماعية. وسيتوجب علينا تسليط النظر على التطورات الجديدة التي أدخلها فرديناند دي سوسير على علم اللغة بدءا من تمييزه بين اللغة والكلام، إلى ثنائية الدال والمدلول وتأكيده على اعتباطية العلامة، وصولا إلى دراسته للغة من حيث هي دراسة وصفية آنية وأخرى تاريخية تعاقبية.

---

[1] شولزروبرت، البنيوية في الأدب ، تر: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط7، 1914م،دمشق، ص14.

[2] كريز ويل إديث، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد صباح، ط1، 1993، الكويت، ص 413.

كانت هذه المبادئ بمثابة القواعد والأسس التي اعتمدها دي سوسير في إرساء بداية حقيقية للسانيات البنيوية في جنيف قبل أن يعمل تلامذته على تطويرها.

منطلقات النظرية البنيوية السوسيرية: من المنطلقات المنهجية للنظرية السوسيرية هو إستحداث منظومة مفهمومية والتي إنطلقت من اللغة. "وأول مبدأ قدمه دي سوسير في عملية تسطير المنهجية للنظرية البنيوية في اللسانيات هو تحديد مفهوم اللغة وتحديد وظيفتها. فاللغة في اللسانيات البنيوية، نظام قائم بذاته."[1] وقد إقترن مصطلح النظام بدي سوسير والذي يعني النسق أو الشكل حسب دي سوسير طبعا وما يشكل بمقتضاه الكلام.

وبالتالي البحث اللساني يهدف إلى إكتشاف هذا النظام اللغوي بعيدا عن أي تأثيرات وعوامل خارجية لأنه قائم بذاته، ودرس دراسة مستقلة، من خلال الصور إستعمال في التواصل اللغوي. ولكي نفهم تصور دي سوير جيدا يجب أن نفسر المفاهيم التي جاء بها دي سوسير وهي كالآتي:

1 ـ النظام(Systéme):

اللغة هي النظام، ونعني بالنظام هو "مجموع العلاقات التي تربط بين عناصر النظام. ويتبدّى هنا مفهوم آخر يتحقّق في مفهوم النظام، هو مفهوم التماسك بين مفردات النظام. وقد تضمّن هذا المفهوم مصطلحي العمل والحركية(Mécanisme)، ومن مميزات النظام أنه يقوم على مبدأ الخلافية أو التقابل الخلافي، أي تحديد عناصر الخصائص في الوحدات بما يميز الوحدة عن غيرها."[2]

2ـ مبدأ الإعتباطية:

العلامة اللسانية عند دي سوسير هي التي تكون بين الدّال والمدلول، إنطلاقا من أن اللغة هي عبارة نظام من العلامات أي أنّ هذه العلامات توحد بين الصورة النفسية والمفهوم

[1] روجيه غارودي، البنيوية "فلسفة موت الإنسان"، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1979م، بيروت، لبنان، ص21.

[2] فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح الفرمادي، محمد الشاوش، محمد العجينة، الدار العربية للكتاب، 1985م، تونس، ص145.

وليست بين الإسم والمسمى "فمدار البحث في علوم اللسان_كما نعلم_ هي الكلمة (الإسم أو الدال)، وكل كلمة من الكلمات المصطلح عليها تقوم مقام الشيء (المسمى أو المدلول)، لكن العلامة اللسانية لا توحد بين الإسم والمسمى، لأنه لا توجد صلة طبيعية بين(خ، ر، و، ف) خروف والحيوانات المشار إليها، والوحدات المؤلفة للغة الإنسانية كلها وحدات بصرف النظر عن كونها دالة أو غير دالة."[1]

وفي هذا السياق فإن العلاقة التي تربط بين الدّال والمدلول هي علاقة إعتباطية يعني عشوائية غير منظمة وغير معللة. فليس هناك دّال أولى في إرتباطه بمدلول محدد. ومن هذا المنظور دفع دي سوسير إلى إعتبار العلامة اللغوية إعتباطية(Arbitraire) والدليل على هذا "أنّ كلمة (أخت) لا تربطها أية علاقة داخلية بتتابع الأصوات التالية: الهمزة والضمة والخاء والتاء والتنوين التي تقوم مقام الدّال بالنسبة إليها. وحجته عن إمكانية تمثيل هذه الفكرة بأي تعاقب آخر يستمدها من الإختلافات القائمة بين اللغات ووجود اللغات المختلفة ذاته."[2] مما يعني أن مبدأ الإعتباطية يحدّد ماهية اللغة ووظيفتها عند دي سوسير. ولا توجد علاقة بين الدّال والمدلول مبرّرة منطقيا، وبالتالي لا وجود لعلاقة منطقية بينهما إنطلاقا من أنّ اللغة إجتماعية وتواضعية ومتفق عليها بالإجتماعوالتواضع .

3 ـ جدلية الثنائية عند دي سوسير :

لقد تميز دي سوسير كعالم لغة عن ما سبقه من علماء اللغة من خلال أنه أعطى نظرة جديدة للغة كعلم قائم بذاته إذ حرص على وضع منهج علمي ومفاهيم أساسية لهذا الحقل من الدراسة، حيث بدء دي سوسير بتأسيس الدعائم المنهجية التي قام عليها فيما بعد علم اللغة الحديث، كما أن التطورات والتغيرات التي أحدثها دي سوسير في الدراسة اللغوية تتمثل في الثنائيات التي تشكل أساس المنهج الوصفي وتحتل هذه المفاهيم الثنائية لدي سوسير منزلة هامة في الدرس اللساني الحديث، ولأجل منزلتها هذه وجب التطرق إليها محاولةً قدر

[1] عبد الجليل مرتاض، دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث، منشورات ثالة، ط1، 2005، الجزائر، ص43.

[2] فردينان دي سوسير، المرجع السابق، ص122.

الإمكان تحليلها وتبسيطها والكشف عن علاقتها التقابلية، وتوضيح أبعادها المنهجية. وسنعرض هذه الثنائيات فيما يلي:

3 ـ 1 ـ اللّغة والكلام: عرف دي سوسير اللغة في بداية كتابه الذي ترجم إلى العربية بعنوان محاضرات في الألسنية"بتعريف اللغة ذاتها مميزا بين ثلاثة مستويات من النشاط اللغوي، اللغة واللسان والكلام، فاللّغة عنده نظام من الرموز المختلفة التي تشير إلى أفكار مختلفة وهي مجموعة المصطلحات التي تتخذها هيئة المجتمع بأكمله لإتاحة الفرصة أمام الأفراد لممارسة ملكاتهم، أما اللسان فإنه يعني نظام اللغة التي من خلالها تنتج عملية المحادثة، أما الكلام يعرف بأنه التحقيق الفردي لهذا النسق في الحالات الفعلية من اللغة."[1] إذن دي سوسير يفرق بين ثلاثة مصطلحات أساسية في علم اللغة وهي اللغة Languag وهي ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة تنتج من الملكة اللغوية، واللسان Langue وهو جزء معين متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع، وهو إجتماعي مكتسب، والكلام Parole وهو شيء فردي ينتمي إلى اللسان."[2] فقد ميز دي سوسير بين اللغة والكلام فاللغة حسبه هي نتاج إجتماعي لملكة فردية هي ملكة الكلام كما أنها تعبر عن مجموعة المصطلحات والمفاهيم التي يملكها جماعة من الجماعات لتمكن أفرادها من ممارسة الكلام وبالتالي فهي على عكس الكلام وعليه اللغة"عمل جماعي مستقل عن الفرد متواجدة في ذهن المتكلمين بطريقة إعتباطية لاشعورية فهي مجموع الأصوات والدلالات المختزنة في ذاكرتهم، أما الكلام فهو ممارسة الفردية الذاتية لهذه اللغة في ظروف مادية، أي أنه بمثابة طريقة تجسيد المتكلمين لهذا النظام اللغوي."[3] وفي حين ميز دي سوسير بين اللغة والكلام إهتم باللسان على إعتبار أنه الجزء الإجتماعي من اللغة، لأنه يخرج من نطاق الأفراد فهو موجود بمقتضى عقد إجتماعي بينهم فهو تميز بين ما هو ملكة بشرية (اللغة) وما هو تواضع

[1] ثامر ابراهيم المصاروة، البنيوية بين النشأة والتأسيس "دراسة نظرية"، (د.ط)، (د.ت)، (د.ب)، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص23.

[3] المرجع نفسه، ص23.

اجتماعي (اللسان) وما هو إنجاز فردي ملموس بوعي وإختيار (الكلام) وهو تمييز بين ما هو إجتماعي وفردي، وما هو جوهري وثانوي.

3 ـ 2 ـ الدّال والمدلول (العلامة اللسانية):

تعتبر هذه الثنائية من أهم المبادئ التي بنى عليها دي سوسير نظريته اللسانية، فمن خلال دراسته للغة باعتبارها ظاهرة مشتركة هي أن اللّغة تتكون من وحدات أساسية متوافقة بينها تسمى العلامات اللسانية أو الرموز اللغوية "أول ما أثار انتباه دي سوسير في رؤيته للعلامة اللسانية هو ذلك التعريف التقليدي الوارد في كثير من الدراسات اللغوية السابقة والذي مفاده أن حد الكلمة هو ذلك الرابط الذي يجمع بين إسم وشيء."[1] ويرى دي سوسير أن هذا التعريف غير كافي وسطحيا بعيدا عن الحقيقة، لذلك عمد إلى تقديم تعريف أخر بديل يرى فيه "أن العلامة اللسانية لا تربط شيئا بإسم بل مفهوما (تصورا) بصورة سمعية."[2] وانطلق في تعريفه هذا من فكرة نظامية اللغة حيث يرى أن اللغة هي نظام من العلامات أي أنها "نسق عضوي منظم من العلامات."[3] **(signes)** وكل علامة تمثل وحدة أساسية في هذا النظام وبالتالي في عملية التواصل بين أفراد المجتمع.

فالعلامة "هي وحدة النظام، فهي العنصر اللساني الذي يتكون من صورة سمعية **(Image acoustique)** ومفهوم **(Concept)** أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية. فمثلا كلمة: رجل هي علامة لسانية مكونة من صورة سمعية، وهو الإدراك النفسي لتتابع الأصوات (ر، ج، ل)، ومفهوم وهو مجموع السمات الدلالية (حي، ناطق، عاقل، إنسان، ذكر، راشد...)"[4]، كما أن دي سوسير إستبدل مصطلحي مفهوم وصورة سمعية بمصطلحي الدال و المدلول. كما أن العلامة اللغوية تمثل أهمية بالغة في الدرس اللساني فهي وحدة

---

[1] الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصبة للنشر والتوزيع، ط1، 2001م، الجزائر، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص77.

[3] المرجع نفسه، ص 78.

[4] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1999م، بن عكنون، الجزائر، ص44.

أساسية في عملية التواصل كون دي سوسير يرى بأن اللغة نظام من العلامات. وتضم هذه العلامات جانبيين أساسين هما : الدّال والمدلول.

أ – الدال (Signifiant):

وهو يمثل الصورة السمعية (الصوتية)، ويمثل الدّال حسب دي سوسير "اختيارا صوتيا تواضع عليه أهل اللغة الواحدة للدلالة على مدلول معين."[1] فالدّال هو ذلك الصوت أو الصورة السمعية التي يتفق عليها جماعة لها لغة واحدة وذلك لتعبير عن معنى أو مدلول معين يكون موجود في الذهن مسبقا.

ب – المدلول (Signifié): وهو يمثل المفهوم أو التصور، ويمثل المدلول حسب دي سوسير "هو مجموع السمات الدلالية التي تحيل إليها الكلمة أو اللفظ."[2] فالمدلول هو ذلك التصور أو الصورة الذهنية الموجودة في أذهاننا والتي تتجسد من خلال الدّال أو اللفظ الذي نتلفظ به.

ج –إعتباطية الدليل اللغوي:

حسب دي سوسير العلامة اللغوية عبارة عن "مؤلف من الدّال المدرك حسيا والمدلول المدرك عقليا، ولقد أدرك دي سوسير بوضوح أن هذين العنصرين متحدان إتحاداصميميا ويقتضي أحدهما الآخر، بيد أنه بَّين أن الرباط بين الدال والمدلول هو ربط إعتباطي."[3]

وهذا يعني أن العلاقة بين الدّال والمدلول إعتباطية ويقصد دي سوسير بفكرة إعتباطية العلامة اللغوية "أن الدال لا توجد بينه وبين مدلوله علاقة معللة وإنما يمثل الدال إختيارا صوتيا جزافيا تواضع عليه أهل اللغة الواحدة للدلالة به على مدلول معين."[4]

---

[1] الطيب دبه، المرجع السابق، ص79.

[2] بن مرزوق نصر الدين، دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2011م، الجزائر، ص18.

[3] رومان جاكبسون، الإتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر:علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002م، المغرب، ص56.

[4] الطيب دبه، المرجع السابق، ص79.

وبالتالي هذه العلاقة ناتجة من تواضع وتوافق بين أفراد المجتمع الواحد فلا يمكن للفرد الواحد تعدلها ولا تغييرها برغبته ويقدم دي سوسير مثال عن هذه العلاقة الإعتباطية "لفظة أخت، إذ المتصور الذهني لها لا تربطه أية علاقة داخلية طبيعية بتتابع الأصوات التالية: أ–خ– ت (الدّال) ويمكن إستبداله بأي دّال آخر."[1]فإختلاف الدّال عند المتصور الذهني من لغة إلى أخرى يدل على إعتباطية العلاقة بين الدّال والمدلول مثلا كلمة الأخت في العربية تقابلها بالفرنسية (Sœur) وبالإنجليزية(Sister) وبالتالي الرابط العلامة اللّغوية عرفي إصطلاحي قائم علىإتفاق بين أصحاب اللّغة الواحدة إذ دي سوسير يؤكد أنّ العلامة اللّسانية تربط بين المفهوم وصورة سمعية وليس بين الإسم الشيء.

3 ـ3 ـ العلاقات التركيبية والترابطية:

إن اللّغة عبارة عن نظام يتكون من تتابع علامات لسانية تربط بينها علاقات تتحدد في إطار هذا النطام بحيث تدخل كل علامة في جملة علاقات مع الوحدات الأخرى ضمن السلسلة الكلامية، وهذه العلاقات يحددها النظام اللغوي "فحين ينظر إلى العلامات في تتابع خطي يطلق على العلاقة إسم العلاقات الخطية أو الأفقية وحين ينظر إلى العلامة الموجودة بوصفها مقابلة لعلامات أخرى في اللّغة تسمى العلاقة بينهما اسم العلاقات الجدولية أو الإستبدالية."[2]

أ – العلاقة التركيبية أفقية (علاقة الحضور) Syntagmes :

"يتمثل هذا النوع من العلاقات الأفقية بين الوحدات اللّغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين الأصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة ونفضي كل وحدة معنى إضافيا على الكل، وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللّغوية الأخرى ولا تكتسب

[1] فردينان دي سوسير، المصدر السابق، ص184.

[2] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2009م، عمان، ص78.

قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تتبعها أو تليها أو معهما معا، وتسمى هذه الأنساق الخطة تراكيب."[1]

إذن هي"قائمة على صفة الخطية للغة. وهي صفة تنتفي معها إمكان النطق بعنصرين معا بنفس الوقت وتنتظم هذه العناصر الواحد تلو الآخر في سلسلة اللفظ. ويمكن أن نسمي هذه التوليفات التي تتخذها لها من الإمتداد حاملا: سياقات."[2] وتظهر العلاقات التركيبية بين أصوات الكلمة الواحدة كما تظهر بين كلمات الجملة الواحدة. مثل: قَّدم الطالب المذكرة. فتجاور الكلمات (قدّم + الطالب + المذكرة) تحدده علاقات تركيبية قائمة بينها تظهر من خلال الوظيفة النحوية بين الفعل والفاعل والمفعول به وكذلك تتجاوز حروف كلمة (ط، ا، ل، ب) إذ بينها علاقة تركيبية. وتظهر هذه العلاقات بوضوح في اللغة العربية إذ لا يمكن للفعل أن يؤدي وظيفته الدلالية التامة إلا بتجاوره مع عناصر الجملة من فاعل ومفعول به حيث تظهر الوظيفة النحوية.

ب – العلاقة الترابطية إستبدالية(علاقة الغياب) Paradigme:

وتمثل "تلك العلاقات التي تحقق وظيفتها ضمن إدراك الترابط الذهني الحاصل بين العلامة اللّغوية والعلامات التي يمكن أن تحل محلها مما يمكن أن تتسم معه –خارج الخطاب– بشيء مشترك، وتترابط معه في الذاكرة مشكلة مجموعات تسودها علاقات مختلفة."[3]مما يعني أنّ العلاقات القائمة بين الكلمات يدركها ذهن المتكلم خارج السلسلة الكلامية بحيث يمكنه أنّ يختار منها ما يشاء ولذا تسمى علاقات الغياب، إذ تربط كلمة حاضرة بأخرى غائبة علاقة إيحائية أو علاقة التداعي" ومن هنا تتكون مجموعةمن الكلمات تقوم بينها علاقات متعددة، فكلمة تعليم مثلا تتوارد معها على الذهن كلمات أخرى مثل: تربية ومعلم

[1] أحمد مومن، اللسانيات بين النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، الجزائر، ص130.

[2] فردينان دي سوسير، المصدر السابق، ص186.

[3] الطيب دبه، المرجع السابق، ص89.

وعلم ومدرسة وامتحانات مما يشترك معها من وجه ما."[1] بالعلاقات الغياب تربط كلمة حاضرة في السلسلة الكلامية وأخرى غائبة في ذهن المتكلم لإشتراكها معها في صفة معينة ولذلك تسمى هذه العلاقات بالعلاقات الإستدعائية فالمتكلم دائما يحتفظ ويخزن مجموعة من الكلامات تتخذ نفس الموقع في التركيب فيتختار منها ما يناسب، إذن علاقات الإستدعائية تعتمد على محور الإختيار.

3 ـ4 ـ المقاربة الآنية والتزامنية :

من الشائع أنّ المنهج السائد في الدراسات اللغوية خلال القرن 19م هو المنهج التاريخي المقارن، وقد شهد هذا القرن تطورا كبيرا وواضحا لهذا النوع من الدراسات ذلك لأن علماء اللّغة إفتتنوا بهذا المنهج التاريخي في تحليل الظواهر فربطوا أيضا اللغة بالدراسة التاريخية، كما اهتم أيضا علماء اللغة. قبل ظهور دي سوسير بالجانب السكوني الآني (الوصفي) في اللّغة وبالتالي تراوحت الدراسات اللّغوية بين الوصفية لإستخراج البنى المنطقية للغة وبين التاريخية التي تعتمد على دراسة تطورات اللّغة عبر مراحل ومع ظهور مؤلف دي سوسير "محاضرات في الألسنية العامة" بدا التمييز واضحا بين الدراسة الوصفية الآنية والدراسة التعاقبية التاريخية، وفي ظّل محاولته إعادة بناء المفاهيم والتصورات وإصلاحها في حقل الدراسات اللّغوية، ورفظه للمنهج التاريخي كونّه وجده قاصرا عن دراسة اللّغة دراسة علمية دقيقة. ولقد ذهب دي سوسير من خلال دراسته للغة على أنها نظام قائم بذاته في فترة زمنية محددة وهو من ناحية تطوري تاريخي وبناءا على هذا التصور رأى أنه يمكن تمييز منهجين للدراسة اللّغة حيث يسمي اللّسانيون الأول بالمنهج الوصفي والذي يهدف إلى تحديد المبادئ الأساسية للنظام المتزامن. في حين يطلق على الثاني بالمنهج التاريخي وبالتالي تتم دراسة اللّغة من طرف نوعين من المقاربة مقاربة التزامنية وأخرى التعاقبية، كما أنّ هذه الثنائية تجاوزت حقل اللّسانيات واقتحمت باقي العلوم الأخرى.

[1] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1980م، القاهرة، ص36.

"وقد اتخذت هذه الثنائية عّدة تسميات في الدرس اللّساني بالوطن العربي فقد ترجمها بالزمانية والتزامنية، كما ترجمها البعض منهم بالآنية والتاريخية والتعاقبية وأطلقوا عليها المعجميين في الدرس اللّساني الحديث بالدراسة السانكرونية مقابل الدراسة الدياكرونية."[1]

أ – الدراسة التعاقبية (Daichronic):

وهي الدراسة تاريخية والزمانية "تعني الظواهر اللّغوية غير المتخزنة في الوعي اللّساني لهؤلاء المتكلمين أنفسهم وهي التي تحمل بعضها مكان بعض دون أن تتجاوز بالظروف في نظام واحد."[2] وبعبارة أخرى هي الدراسة التي تتبع ما تتعرض له اللّغة من تغيير وتحول خلال فترات زمنية متعاقبة وبالتالي تدرس تطورات اللّغة عبر مراحل، فالمنهج الزماني هو منهج حركي تطوري، فهي دراسة تهتم بتعاقب الأزمنة للكشف عن التطورات والتغيرات التي تلحق باللغة.

ب – الدراسة التزامنية (Synchroni):

هي دراسة الآنية السكونية "التي تعني وصف النظام اللّغوي بجزئياته بغض النظر عن التحولات التي يمكن أن تطرأ عليها أو على جزء منها والنتائج التي تترتب عن ذلك في الإستعمال اللّغوي والبحث عن القوانين التطور اللّغوي وعن أساسه."[3] وبالتالي هي تهتم بدراسة اللّغة معينة في مرحلة زمنية محددة بعينها، فهي تتناول اللّغة بإعتبارهاوهي منهج وصفي آني يدرس أية لغة من اللّغات على حدى دراسة وصفية في حالة معينة أي فهي نقطة زمنية معينة.

ج – الفرق بينهما:

لقد فصل دي سوسير بين المقاربتين واعتبر هذا الفصل ضرورة منهجية ووضح اختصاص كل واحدة منهما وذلك من خلال المثال الذي قدمه عن دراسة النبات ما فالدراسة الآنية

[1] شادلي مصطفى، البنيوية في علوم اللغة، تر: سعيد جبار، زواية للنشر والتوزيع،(د.ط)، 2015م، القاهرة، ص102-101.

[2] ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2007م، لندن، ص20.

[3] المرجع نفسه، ص23.

"مثلها مثل الشريحة المقطوعة قطعا عرضيا حيث يلاحظ على شكل المقطع رشما معقدا لا يمثل إلا منظورا للألياف الطولانية الذي يظهر لنا الألياف نفسها التي تشكل النبات ولكن قد تتفرع هذه الألياف مرة أخرى وتختفي مرة، أمّا الدراسة العرضية فتثبت العلاقة القائمة بين الألياف وترتيبها الخاص على مستوى معين وفي الواقع أن الشريحة العرضية هي التي تمكننا من المعرفة الدقيقة للبيئة النباتية في مرحلة خاصة من النمو وذلك بمقارنة مختلفة للأجزاء وعلاقة بعضها وترابطها بينها."[1]

وأيضا عند مقارنته اللّغة بلعبة الشطرنج حيث قابل في هذا المثال بين الدراسة الآنية والدراسة التعاقبية مقارنة تامة حيث أن ما يهمنا في هذه اللعبة ليس هو كيفية نشأتها أو تاريخها من بلد لآخر وليست تحركات البيادق لأنها لا تغير شيئا من الواقع بل ما يهمنا فقط هو كيف نقوم بتحريك هذه البيادق وعلاقتها ببعضها البعض.

ومن خلال هذه الأمثلة توصل دي سوسير إلى تحديد الفروق الأساسية بين ما هو آني وما هو زماني وهي كالتالي:

1 – يتمثل الموضوع الأساسي للدراسة التزامنية آنية في الحالة الحالية والراهنة للغة في زمن معين إذ تدرس نظامها الداخلي وعناصره بينما الموضوع الأساسي للدراسة الزمانية هو البحث في تاريخ اللّغة وتطورها.

2– "تقوم الدراسة الآنية على دراسة العلاقات القائمة بين عناصر النظام اللّغوي بينما الدراسة التاريخية تهتم بالتغير الذي من خلاله يحل عنصر مكان آخر مع توالي الزمن وبالتالي الأولى سكونية والثانية حركية."[2]

3 – يخصص دي سوسير موضوع دراسة آنية بالظواهر اللّغوية للغة من اللّغات بينما الدراسة التعاقبية تجمع في إطار المقارنة بين الظواهر اللّغوية لعدة لغات محاولة الكشف عن وجود رابط تاريخي يجمعها."[1]

---

[1] نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص75.

[2] المرجع نفسه، ص78.

المطلب الثاني: عند رومان جاكبسون.

رومان جاكبسونRoman Jacobson(1896ـ1982) "عالم روسي وهو مؤسس نادي براغ اللغوي وأسس حلقة نيويورك اللّغوية."[2] عبر حركة الشكلانيين الروس وحلقة براغن ظهر من خلال أبحاثه التي أسهمت في بلورة مفهوم النقد البنيوي الحديث، يعتبر رومان جاكبسون واحدا من أبرز وجوه الحلقة وأقواها تأثيرا فيها وفي اللسانّيات البنيويّة ولسانيات القرن العشرين. "فجاكبسون له جانب تروبتسكوي من جهة وسوسير من جهة ثانية مسؤول عن هذا التطور الذي سيير لسانّيات نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للسانّيات عصرية ذات توجّهات بنيويّة."[3] ولجاكبسون مساهمات رائدة في مختلف فروع اللسانيّات وما يتصل بها. وقد كان متشبعا بالعديد من المعارف عصره في الأدب والفلسفة وفي العديد من العلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة. فإجتمع فيه العالم اللسانّي والفيلسوف والناقد الأدبي والفنان،مما مكن اللسانّيات البنيويّة من الإنفتاح على العديد من العلوم الصرف والعلوم الإنسانية وباقي الحقول الأدبية والفنية. وقد أقام خلال مساره الطويل اتصالات شخصية وتعاونا علميا مع العديد من رجال القرن العشرين البارزين. كما التقى لمدة قصيرة مع عددا من اللسانّيين نذكر منهم: مارتينيه وهلمسليف وتشومسكي وموريس هاليه إضافة إلى كلود ليفي ستروس وجاك لاكان.وقد قال بشأنه تشومسكي "شخصيا تعلمت الكثير من هذه البنيويّة الأوروبية ومن جاكبسون على وجه الخصوص، فقد كان أستاذي وهو صديق كبير أيضا، ولست في حاجة إلى أن أذكر كيف أنّ تظلّ أساسية."[4] لقد تبنى جاكبسون منهجا علميا وصفيا في دراسة الأنواع والأجناس الأدبية، بالتعامل مع الأثر الأدبي على أنه مادة وبناء وشكل قيمة مهيمنة.وبذلك فقد تمثل المقاربة البنيوية الشكلانية في دراسة النصوص الأدبية، بتفكيكها

1 جون ليتشه، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، تر: فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008م، بيروت، لبنان، ص80.

2 المرجع نفسه، ص82.

3 المرجع نفسه، ص85.

وتركيبها، إعتمادا على المستويات اللسانية: الصوتية، والتركيبية، والدلالية، والبلاغية. "فقد كان رومان جاكبسون أول من طبق المنهج البنيوي اللسانّي على الشعر، حينما حلل مع كلود ليفيستروس قصيدة القططلشارلبودلير سنة 1962م، وقد درسها الإثنان دراسة داخلية مغلقة، في إطار نسق كلي من الشبكات البنيوية المتفاعلة، بغيت البحث عن دلالة البناء. وقد إنصب هذا العمل التشريحي على مقاربة القصيدة تفكيكيا وتركيبا، بالإعتماد على اللسانيات البنيوية، مع إستقراء المعطيات الصوتية والصرفية والإيقاعية والبلاغية."[1]

ظهر رومان جاكبسون من خلال أبحاثه التي اسهمت في بلورة مفهوم النقد البنيويّ الحديث حيث إكتشف أنّ اللّغة ليست معادلة نهائية بل هي مخلوق حي يتطور تبعا لإيقاع الحضارات والمجتمعات. وركز على أهمية علم الأصوات والعروض والبنى الصوتية في الشعر. ويمكن أنّ نعالج أفكار جاكبسون التي طرحها من خلال نظرياته ومحاضراته التي إنبثقت عنها الفكرة البنيوية في مجال النقدالحديث. "فقد قام جاكبسونبتطوير الأسس التي وضعها دي سوسير، فاتحا مجالات عديدة في حقل الفونولوجيا ومساهمات إضافية هامة في حقل الإعراب والشعر، محافظا على المناهج اللغوية البنيويّة في دراسة الأدب وإظهار خصائصها."[2] وعليه جاكبسون يحاول أن يوضح المستويات المختلفة للبنية اللغوية، كما أنه طور أسس دي سوسير وذلك من خلال تحديد العلاقات بين المتغيرات"ومن إسهاماته أيضا في ذلك المجال، حيث وضع نظرية الإتصال والتي مفادها أنّ أي كلام أو قول نتفحصه نجد فيه رسالة تنطلق من مرسل إلى مرسل إليه، وهذه الرسالة هي السياق الذي لا يمكن فهمه إلا من خلال شيفرة التماس اللغوي..."[3]

كما قلنا إستطاعجاكبسون أن ينمي الإتجاه البنيوي في دراسة الصوتيات، إذ أكد على ملازمة أنّ يقوم على منهج متكامل غير منعزل، فلا بد لكل حدث صوتي أنّ يعالج على أنه

[1] الزواوري بغورة، المنهج البنيوي"بحث في أصوله ومبادئه وتطبيقاته"، دار الهدى، ط1، 2001م، لبنان، ص46.

[2] ثامر إبراهيم مصاروة، المرجع السابق، ص47.

[3] ثامر إبراهيم مصاروة، المرجع السابق، ص50.

وحدة جزئية تنتظم مع وحدات أخرى في مستويات أخرى، "وأن العلاقة المتبادلة القائمة بين المقومات العمل الشعري على وجه الخصوص، سواء كانت مصدرة أم غير مصدرة، تشكل البنية هذا العمل وهي بنية دينامية تشتمل على التقارب والتباعد على حد سواء، كما أنها تشكل كلا فنيا لا يمكن تفكيكه، بإعتبار أن كل واحد من هذه المقومات يمتلك قيمته من خلال علاقته بهذه الكلية."[1]

أيضا لقد ميز جاكبسون النصوص الشعرية عن النصوص الأدبية الأخرى، "فقد إقترح معيارا لغويا تجريبيا مختلفا لتعريف الوظيفة الشعرية، حيث أنّ هذا التميز كان ينص على أن تقذف الوظيفة الشعرية مبدأ التكافؤ من محور الإختبار إلى محور الضم،إذ يرفع التكافؤ إلى مرتبة الأداة المكونة لسلسلة المتعاقبة، أي السياق."[2]

تميزت الوظيفة الشعرية لجاكبسون على التشديد على الرسالة لذاتها بعيدا عن الذي أرسلها، "معللا بذلك أنّ الرسالة هي العنصر الذي لايمكننا الإستغناء عنه في كل عمل أدبي وبالإضافة إلى إهتمامه بالشكل أسوة بالشكلانيين الروس. لم يكتف بذلك إذ تلمس آفاق نقدية جديدة تدعو إلى الإنعطاف في الحركة الشكلية والتحول من الشكل إلى الألسنية."[3] فلجأ جاكبسون لتصليب موقفه لنظريات دي سوسير قائلا: "عن التحليل اللّغوي يجري تدريجيا نسيج الكلام المتشابك إلى وحدات صوتية تحمل معنى خاصة بها. ويحدد سماتها ومواصفاتها المميزة، من هنا الضرورة التفرق بين مستويين في اللغة وفي التحليل اللغوي، المستوى الدلالي وينطوي على وحدات دالة بسيطة ومن ثم متشابكة، بدأ بالوحدة الصوتية ثم العبارة وصولا إلى النص والمستوى الفونولوجي، ويتعلق بالوحدات ذاتها، ويميز كل سمة تستلزم خيارا بين طرفي تضاد."[4]

---

[1] آن جغرسون، ديفيد روبي، النظرية الأدبية الحديثة، تر: سمير مسعود، وزارة الثقافة، ط2، 1922م، دمشق، ص87.

[2] المرجع نفسه، ص 87.

[3] فؤاد أبو المنصور، النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، دار الجيل، (د.ط)، 1985م، بيروت، ص41.

[4] رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، (د.ط)، 1988م، المغرب، ص27.

يقول رومان جاكبسون بصفته لسانيا، شكلانيا وبنيويا في الوقت ذاته. "يجب أن نعترف بالمساهم الجوهرية للروس خلال السنوات 10ـ20 من هذا القرن داخل مجال الإنشائية، وفي تقدم الفكر العلمي المتصل باللغة وفي تعدد وظائفها."[1]

قدمت حلقة براغ اللسانية سنة 1928م أول أعمال أصحابها إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة بلاهاي بعنوان "النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية" وتلك المحاولة التي قدمها رومان جاكبسون وليفي سراوس في تحليلهما لقصائد بودلير(القطط) أكبر دليل على ذلك التمازج بين لغوية اللسانيين وشعرية الشكلانيين.

وقد عبّر جاكبسون عن العلاقة بين اللّغويات والخصوصيات الأدبية بقوله "بما أنّ اللّغويات هي العلم الأشمل للبنية اللغوية، فإن البويطيقا تعتبر جزءا لا يتجزأ من اللّغويات."[2] ولقد مثّل جاكبسون ذلك على أكمل وجه في محاضراته "اللسانية والشعرية" سنة 1960، والتي أزاح فيها الفواصل بين الشكلانية واللسانيات والبنيوية، مقوّما خصوصيات الإبداع من خلال القوانين اللغوية، وبلغت رؤيته أوج نضجها في مجاوزته لإزواجية الشكل والمحتوى، مؤكدا أن اللسانيات العميقة تعمل على بلورة تصور بلاغي جديد للشعر.

هكذا نجد البنيوية نهضت على أساس تطوير أفكار وآراء حلقة براغ بزعامة رومان جاكبسون مع الإنفتاح على أراء دي سوسير والمدرسة الجشطالتية وإتخاذها المنهج التحليل في الأدب والفن المرتكز على العناصر المكونة للموضوع وطريقة قيامها بوظائفها، وجعلها المضمون جزءا من البنية على خلاف المدرسة الشكلية التي أهملت المضمون تماما.

[1] الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص63.

[2] عدنان حسين قاسم، الإتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2001م، مصر، ص ص54.55.

المطلب الثالث:عند كلود ليفي ستراوس.

كلود ليفي ستراوس عام أنثربولوجيCloud Lévi Strauss(1908-2009) لقد "إنبثق من البنيوية اتجاهات قامت بتطوير الفلسفات المعروفة وفق المنهج البنيوي أي بصياغة جديدة للفلسفات والنظرات المشهورة فستراوس صاحب الأنثروبولوجية البنيوية والذي ما لبث أن أصبح زعيم البنيوية العلمية في فرنسا."[1]

لقد تميز كلود ليفي ستراوس بأنه أنثروبولوجي من نوع آخر وجديد مختلف عما سبقوه، فكان إهتمامه منصب على كشف حقائق العقل البشري لا الحقائق الخاصة بتنظيم مجتمع محدد أو صنف من المجتمعات.

لقد إعتمد ستراوس كثيرا على عنصر اللغة البنيوي لدراسة المجتمعات معتمدا في ذلك على دراسات سوسير عالم على اللغة الحديث والذي إشتهر بتمييزه بين اللغة والكلام والذي إعتبر أن اللغة هي نظام مغلق من العلامات، فعندما يستعمل الفرد الكلام فإنه يختار من نظام اللغة الكامل كلمات وأعرافا قواعدية ونغمات ونبرات معينة يضعها في ترتيب محدد فيتمكن عندها من نقل المعلومات بواسطة ما ينطق به. فيتمكن عندها من نقل المعلومات بواسطة ما ينطق به، وهذا التمييز بين اللغة والكلام يكافؤ تكافؤا وثيقا، تمييز نظرية المعلومات بين الشفيرة والرسالة. "فحين ننظر إلى اللغة بوصفها شيفرة. بمعنى أنها نوع خاص من الشيفرة مؤلفة من عناصر صوتية بيد أن هناك أنواعا أخرى كثيرة من الشفيرات الممكنة والمحتملة، فالثياب يمكن إستخدامها كشيفرة، وكذلك أصناف الطعام والإيماءات وغيرها، وكل شفرة من الشفرات هي لغة بالمعنى السوسيري للكلمة، كما أن مجموع هذه الشفرات تشكل ثقافة الفرد الفاعل والتي هي لغته بدورها"[2]

[1] كريز ويل إديث، المرجع السابق، ص233.

[2] رضوان جودت زيادة، ستراوس ونقد الإناسةالبنائية، **صحيفة المستقبل**، السبت 28شباط2004م، العدد1543، ثقافة وفنون، ص18.

أيضا طبق ستراوس ذلك على مفهوم الأسطورة في المجتمعانت البدائية، وذلك بهدف أن يرى أنه ليس بالضرورة الأسطورة هي خرافة، كما أنها لا تعبر عن نوع دنيئ من التفكير، وهدف ستراوس عند دراسته الأسطورة هو تبيان كيف ممكن تفكر الأساطير في ذاتها من خلال الناس دون وعي منهم وهو ما يكشف لنا بالنهاية الطريقة التي يفكر بها لناس في أساطير حكاية مقدسة "وإذا قبلنا بالتعريف الذي يصف الأسطورة بأنها حكاية مقدسة، عندها لا يعود الزيف هو الصفة المميزة للأسطورة وإنما كونها حقيقية إلهية بالنسبة للمؤمنين وحكاية خرافية عند من لا يؤمنون بالتفريق بين التاريخ بوصفه حقيقا والأسطورة بوصفها زائفة هو تفريق تعسفي وإعتباطي تماما وما من مجتمع تقريبا إلا ويمتلك تراثا خاصا به."[1]

رؤية ستراوس تلك الأسطورة جعلته يعيد النظر كليا في المفهوم الفلسفي والأنثروبولجي للمجتمعات البدائية الذي سيطر عقودا طويلة في وسم الفكر البدائي بأنه فكر ساذج وطغوي وخرافي، إن بدائي ستراوس راقون مثلنا تماما والفارق الوحيد هو أنهم يستخدمون نظاما مختلفا في وضع الرموز والإشارات كما أن كامل بنية الفكر البدائي قائمة على الثنائيات وذلك إقتداء بنظرية جاكبسون الألسنية ومكيانيكا الحواسيب الرقمية، ويبقى الموضوع الأخير شغل ستراوس في الكثير من رحلاته وكتبه وهو نظريته عن البنى الأولية للقرابة التي غالبا ما يعيدها الأنثربولوجيون إلى السلوكيات الإجتماعية وليس إلى الحقائق البيولوجية، "لكن ستراوس رأى لا يمكن مناقشة القرابة في معظم الأحيان دون أية إشارة إلى البيولوجيا، وهو ما إنتهى إليه من أن كل فعل يوصف بأنه سلوك قرابي لا بد له أنّ يرتبط في التحليل الأخير برابطة دقيقة ما مع البيولوجيا، أي لا بد أن يرجع إلى الحقيقة البديهية التي مفادها أن الأم مرتبطة بابنها وأنّ الأخوة والأخوات الذين تنجبهم هذه الأم مرتبطون وأحدهم بالآخر."[2]

[1] المرجع نفسه، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص21.

المبحث الثاني: في ماهية النظرية البنيوية.

المطلب الأول: مفهوم النظرية البنيوية.

البنيوية مفهوم انتشر حديثا في مجالات العلوم الإنسانية، وفرض نفسه في ساحة اللّغة والنقد، يعدّ مفهوم بنية نواة الإتجاهات البنيوية، وتبدو كلمة بنية التي جاء منها لفظ البنيوية تقترب في أذهاننا من معنى الشكل أو الهيكل أو الصورة، وأدى الباحثين إلى القول بأن "كل شيء_إلا أن يكون معدوم الشكل تماما_ له بنية،ومن ثملا يضيف هذا شيئا إلى ما في ذهننا سوى ملاحة مستلذة "[1]

وقد اكتسب لفظ "بنية" أبعادا معرفية جديدة اكتسبت بدورها رواجا منهجيا قلّ نظيره في الفكر الإنساني الحديث مما يتسبب في التباس المفهوم في الأذهان بعد اقتحام كل المجالات المعرفية الحديثة.

ويمكن تحديد مصطلح البنية من الناحيتين اللغوية والإصطلاحية:

أ – لغة:

هي كلمة مأخوذة من اللغة اللاتينية "Structura" المشتقة جذورها من الفعل "Struere" " بنى" ومعناها في الأصل معنى معياري بحيث تشير الكلمة على الكيفية التي تشيد بها بناء معين.

جاء على لسان العرب: "البنية والبنية ما بنيته وهو البنى،والبنى(..) يقال بنية وهي مثل رشوة رشا كأنّ البنية الهيئة التي تبنى عليها مثل: المشية الركبة والبنى بالضمّ مقصود، مثل: البنى يقال بنية وبنى (...) وفلان صحيح البنية أي الفطرة."[2] و"أبنيته: أعطيته بناء، أو ما يبني به دارا وبناء الكلمة: لزوم آخرها ضربا واحدا من سكون أو حركة."[3] و"امتد مفهوم

---

[1] أوزياس، جان ماري، البنيوية، تر: ميخائيل مخول، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية، 1972م، دمشق، ص213.

[2] الطيب دبة، المرجع السابق، ص4.

[3] الفيروز أبادي مجد الدين، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط3، 2009م، بيروت، لبنان، ص75.

ومعنى الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية، وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي، وتشير المعاجم الأجنبية على أن فن المعمار يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر."[1]

ب- الإصطلاح:

يصعب علينا الوقوف على تعريف شامل للبنيوية، وقد عرفها الكثير من علماء اللغة الغربيين والعرب بتعريفات مختلفة، منها من أصاب المفهوم ومنهم من لم يصب، فقد عرفها العالم اللساني الفرنسي إميل بنفست بقوله: "البُنية هي ذلك النظام المنسق الذي تتحد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات، أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل، ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل."[2]

وعرفها العالم اللّغوي لالاند بقوله: "إنّ البنية هي كل مكوّن من ظواهر متماسكة، أو متضامنة بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل."[3]

ويعرفها جون بياجي في مطلع كتابه عن البنيوية بأنّه "من الصعب تمييز البنيوية، لأنها تتخذ أشكالا متعددة لتقدم قاسما مشتركا موحدا فضلا عن أنها تتحدد بإستمرار."[4]

وفكرة البنية ليست جديدة تماما في مجال الدراسات اللّغوية وحتى أنها لا تعود إلى دي سوسير وحده، فقد تفطن علماء اللغة القرنين 18 و19م لاسيما همبولت، والمتأثرين بالعلوم الطبيعية أمثال: شليغل وشلايشر Schleicher، وفرانز بوب Franz bopp، فقد تحدث الأول مثلا عن البنية النحوية عدة مرات، واستعمل شلايشر عبارة البنية اللسانية، ومع مطلع

---

[1] صلاح فضل، المرجع السابق، ص 175.

[2] مصطفى السعدني، المدخل اللغوي في نقد الشعر، دار المعارف للنشر، ط1، 1987م، الإسكندرية، مصر، ص11.

[3] اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد، منشورات عويدات،2001، بيروت، ص125.

[4] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، دار العربية للعلوم، ط1، 2008م، بيروت، ص111.

القرن 20م استعمل اللغوي الفرنسي فندريسVendryes العبارة نفسها أي البنية النحوية في كتابه "اللغة".

وتذكر العديد من المصادر أن مفهوم "البنية" كان مألوفا لدى تلاميذ دي سوسير في باريس أمثال أنطوان مييه وذلك قبل إعداد المحاضرات الشهيرة، فقد أعلن مييهمحيلا على دي سوسير هذا المفهوم بكيفية صريحة عدة مرات، وكذلك فعل موريس غرامون "(...) إلّا أن سوسير يعد أبرز الذين أكدوا فكرة البنية أو النسق كما كان يسميها هو."[1] على الرغم من أنه لم يستعمل كلمة بنية أو البنيوية في محاضراته التي نشرت بعد وفاته.

وتعني بنيويته "دراسة البنية أو(البنى) اللغة في حد ذاتها على نحو مستقل، ليس فقط بعزلها عن التاريخ أو العالم الخارجي بل أيضا عن نسيجها الإجتماعي التي تعيش فيه، والعمليات النفسية التي يقوم بها متكلّموها عن فهمها أو إكتسابها."[2]

أما بنيوية بياجي فهي عبارة عن منظومة من التحولات وتتكون المنظومة من قوانين بإعتبارها منظومة مقابل خصائص الوحدات، وتحافظ المنظومة على نفسها،وتغتني عن طريق تحويلاتها دون أن تخرج من حدودها، أو تستدعي عناصر خارجة عنها.

[1] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة "تاريخها وطبيعتها وموضوعها ومفاهيمها"، الدار البيضاء، ط1، 2006م، المغرب، ص257.

[2] محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004م، بيروت، لبنان، ص67.

المطلب الثاني: مبادئ النظرية البنيوية.

إن كانت البنية عبارة عن نظام له قوانينه التي يحكم بها أجزاءه، إذ أن كل تحول في البنية يؤدي إلى تحول في الدلالة، وللبنيوية اللّغوية العديد من الأسس التي إعتمدت عليها لتأسيس نظريتها، يجملها فيما يأتي:

1ـ الكلية أو الشمول: والمقصود بهذه السمة "أن البنية لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل بل هي تتكون من عناصر خارجية خاضعة للقوانين المميزة للنسق، وليس المهم في النسق العنصر أو الكل، بل المهم هو العلاقات القائمة بين هذه العناصر، فهي تعني خضوع العناصر التي تشكل البنية لقوانين تميز المجموعة أو الكل ككل واحد."[1]

ولتوضيح هذه الخاصية نضرب مثالا وهو أن لكل العددين (3)و(4) له سمات وخصائص معينة، وعندما نركب من هذين العددين رقما جديدا وهو(43) فإن من شأن هذا التركيب أن يضيف عليهما خاصية جديدة، ووأيضا إذا قمنا بتغير موضعهما يكون لدينا تركيبا جديدا هو(34)، وبالتالي هذه الخاصية ضرورية ولها أهمية كبرى. مما تعني هذه الخاصية أن البنية تكتفي بذاتها ولا يتطلب إدراكها اللُّجوء إلى عناصر غريبة عنها وعن طبيعتها.

فالنص مثلا هو بنية تتكون من عناصر، وهذه العناصر تخضع لقوانين تركيبية تضفي على الكل خصائص مغايرة لخصائص العناصر التي يتألف منها، فخصائص الكل ليست نفسها خصائص الجزء المكون لها، وعليه فإن خاصية الشكولية وكليتها، لا تسمح بالإكتفاء بأجزاء منها عند دراسة وكذا لا تسمح بإدخال ما ليس منها لأن ذلك يؤدي إلى تغير في البنية.

2ـ التحـــولات:وتعني هذه السّمة أنّ كل بنية تنطوي على قانون داخلي من شأنه أن يحدث تحولا، "أي البنية ليست شيئا جامدا أو ثابتا، إنها تتغير بإستمرار وتحولها يظل ذا طبيعة

[1] بلعفير محمد، البنيوية النشاة والمفهوم، **مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والإجتماعية**، المجلد16، العدد15، تاريخ:30سبتمبر2017، ص ص228-229.

داخلية، إن تحول البنية وتغيرها يولدان دائما عناصر تنتمي عناصر بالضرورة إلى هذه البنية."[1]

إذ كل نص وفق النظرية البنيوية يحتوي على نشاط داخلي لكل عنصر دور في البناء، فهو بان لغيره وفي المقام ذاته مبني أيضا، وهو ما يعطي النص علمية التجدد لكون النص الخاضع للتحولات الداخلية،حامل للأفكار في داخله منتج لأفكار جديدة إذا ما دخلت على البنية التحولات.

3ـ التنظيم الذاتي: وتعني هذه السّمة أن البنية تستطيع أن تحافظ على نفسها وعلى وحدتها وإستمراريتها من خلال تنظيم ذاتها بذاتها "فبإمكان أي بنية أن تنظم نفسها مما يحفظ لها وحدتها ويكفل لها المحافظة على بقائها، ويحقق لها ضربا من الإنغلاق الذاتي."[2]

يقول دي سوسير "فمثلا عندما نجمع أو نطرح مطلق عددين صحيحين نحصل دائما على أعداد صحيحة، تثبت قوانين الفرق الجمعي لهذه الأعداد."[3] وهذا يعني أن البنية منغلقة على ذاتها، إلا أن هذا الإنغلاق لا يمنع البنية الواحدة من أنّ تندرج تحت بنية أخرى أوسع على صورة بنية سفلية أو تحتية. يقول جون بياجي إن أي بنية بإستطاعتها ضبط نفسها ضبطا ذاتيا يؤدي للحفاظ عليها، ويضمن لها نوعا من الإنغلاق الإيجابي، وهو مايجعل البنية تحكم الذاتية بمكوناته.

[1] محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، الدار البيضاء، ط1، 1987م، المغرب، ص101.

[2] ابراهيم زكريا، الرجع السابق، ص57.

[3] فردينان دي سوسير، المصدر السابق، ص156.

المطلب الثالث: إتجاهات النظرية البنيوية.

أ ــ الأنثربولوجيا البنيوية:

إنبثق من البنبوية إتجاهات قامت بتطوير الفلسفات المعروفة وفق منهج بنيوي أي بصياغة جديدة للفلسفات والنظريات المشهورة، فمثلا ليفي ستراوس صاحب النظرة الأنثروبولوجية البنيوية في خمسينيات من القرن العشرين، متأثرا بالعديد من المفكرين منهم هيغل وماركس، وأخذ بأفكار دي سوسير في علم اللغة الحديث، والذي ما لبث أنّ أصبح زعيم البنيوية العلمية في فرنسا.

تميز ستراوس بأنه أنثروبولوجي بشكل مختلف، لأنه إهتم بالكشف حقائق العقل البشري لا الحقائق الخاصة بتنظيم مجتمع محدد أو صنف من المجتمعات، بالرغم من أن كانت بداية ستروا‌س ماركسية بحكم السيطرة الذهنية والمعنوية لهذا المذهب على مفكري عصره.

وقبل الولوج في البنيوية الإجتماعية، لابد أن نذكر ما توصل ليه ستراوس في دراساته وتحليلاته الأنثربولوجية على سيسيولوجيا المجتمعات البدائية، والتي قد تعامل معها ستروا‌س بمثابة عينات وشرائح مجهرية، حصرها في إطاره البنيوي، كما نذكر أنه تقرب للماركسية وإعتنق مبادئ المادية الجدلية.

وقبل الحديث عن هذا الفرع البنيوية الأنثربولوجية يجب التطرق إلى مصطلح الأنثربولوجيا هذا الفرع من فروع العلوم الإنسانية التي تهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية وشمولية، وهي تهتم بمجموعة من القيم الجمالية، والدينية والأخلاقية والمكتسبات الثقافية والعادات والتقاليد، فيعرفها كلود ليفي ستراوس "إن الأنثربولوجيا تهدف إلى المعرفة الكلية والشمولية للإنسان في علاقته بإمتداداته التاريخية وممحيطه الجغرافي"[1] والواضح أنه يعني بهذا التعريف أنّ الأنثربولوجياتعمل على معرفة الإنسان معرفة داخلية من حيث عاداته وتقاليده وعلاقته وتفاعله مع غيره وكذا جميع خصائص التي يتصف بها والتي تميزه من عصر البدائية إلى يومنا هذا كطريقة الأكل والشرب واللباس وصناعة الأواني وغيرها...، وهدف الأنثروبولوجيا

[1] مصطفى تولين، مدخل إلى الأنثربولوجيا، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2012م، مصر، ص73.

هو "الوصول إلى معرفة الإنسان معرفة كلية عن كل الناس إن أمكن، وليس عن الإنسان في العصر الحالي فحسب، بل عن الإنسان منذ الأصول الأولى وحتى وعبر كل الحضارات."[1]

وتعتبر الأنثروبولوجيا البنيوية نهج من البنيوية صاغها الأنثربولوجي كلود ليفي ستراوس في أواخر الأربعينيات، حيث تأثر بالمنهج البنيوي في معالجة اللغة والأدب فأراد أن يقتبس ويطبق أسس هذا المنهج في مجال الأنثروبولوجيا، إذ يعتبر أول من جمع بين اللّغويات السوسرية مع الأنثروبولوجيا ورأى في اللّغويات السوسرية نفس الظواهر التي تهتم بها الأنثروبولوجيا، فمفردات القرابة عنده متشابهة لما هو عليه الأمر في حال الفونيمات،وذلك لأن أنظمة القرابة والفونيمات لا يكون لها معنى إلا إذا تحددت وفق نظام معين من خلال أنظمة القرابة، "ومثال لذلك لقد ركز ستراوس على تداول النساء بين الرجال المجتمع جاعلا من ذلك تناظر للغة والرجال موازين للكلام كنوع من نظام القرابة ويرى ستراوس أنّ منع الزواج من المحرمات ليس مجرد شيء ممنوع، وإنما هو قاعدة للسلوك تجبر على التبادل والعطاء، فهي شرط للوجود الإجتماعي من خلال التبادل الذي يعتبره ضروري، بحيث تخلق من خلاله بنية إجتماعية أكبر من العائلة المكونة من أب وأم وأولادهما، وأنه لو سمح الزواج من داخل العائلة أو من المحارم لما أصبح هناك مجمع."[2]

إنّ مشكلة العلوم الإنسانية هي مشكلة الإنسان بعتباره كائن يهتم اكثر بذاته، وحين يتكلم ستراوس عن الذات فإنما يقصد الوعي ذلك العدو السري للعلوم الإنسانية، فعلى العلوم الإنسانية أنّ تأطر هدفها ووظيفتها، فبدلا من العمل على تأسيس الإنسان وذاته ووعيه علينا العمل على القضاء عليه. يقول ستراوس "هدف العلوم الإنسانية ليس أن تكون الإنسان ولكن أن تذوبه وتفككه، وهكذا يتم الإدماج الثقافة في الطبيعة والحياة ومجمل الشروط الفيزيائية

[1] وائل السيد عبد الرحيم، تلقي البنيوية في النقد العربي، دار الطليعة، ط1، 1986م، لبنان، ص73.

[2] المرجع نفسه، ص75.

والكيميائية."[1] وذلك يعني أن العلوم الإنسانية تسعى إلى جعل الإنسان وحدة وجزء من الطبيعة وعناصرها ليكون وظيفة داخل البنية الواحدة. ويعتبر كلود ليفي ستراوس هو الوحيد بين البنائيين الفرنسيين الذي يستخدم كلمة بناء أو بنائية صراحة في العناوين كتبه ومقالاته، بداية من مقالة التي كتبها عام 1945م والتي كانت تعالج التحليل البنائيفي اللّغويات وفي الأنثروبولوجيا، وأيضا كتابه البنى الأولية للقرابة الذي كان سببا في ذيوع إسمه وشهرته، وإعتبره الكثير أهم إنجاز في الأنثروبولوجيا الفرنسية ومن ثم كتابه الأنثروبولوجيا البنائية.

كما أنّ البنيوية التي أدلى بها ليفي ستراوس للأنثروبولوجيا لم تبقى على صورتها الأصلية، "حيث في برطيانيا لعبة البنيوية دورا راديكاليا في تغير الأساليب التحليل الأنثربولوجي، حتى أنها تميزت البنيوية التي توصل ليها ستراوس أنها أخذت طابع شديد الصلة بمفاهيم إميل دوركايمEmilleDuKheim(1917/1858) ومارسيل موس Marcel Mauss (1872/ 1950) أنّالسوسيولوجية شديدة الإرتباط بمفهوم البناء والتنظيم الإجتماعي، بينما في أمريكا كان الترحيب بالبنيوية أقل من قبل الأنثربولوجيين فإن الأثر الأمريكي قد إقتصر على إعادة الإنتاج المفاهيم البنيوية في إطار الأنثروببولجيا الرمزية المعرفية"[2]. وقد ترتب عن الإنتشار المتعدد الأوجه للبنيويين في أقسام الأنثروبولوجيا لظهور عدة تعريفات ومنحنيات لمسار البنيوية، وأنّ ما أتى به ليفي ستراوس كان جديد قائم على البنى ومعارف شديدة التراوح بين الفلسفة وعلم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الإجتماع وغيرهم من العلوم... .

يعد موضوع القرابة من المواضيع الأساسية التي ركز عليها ستراوسإهتمامه في دراسة العلاقات التي تقوم عليها العلاقات الإجتماعية، شأنها شأن اللّغة سواء بسواء فهي نظام من أنظمة التواصل. حيث يقول "إنّ دراسة المسائل القرابة تظهر اليوم في عبارات علم اللغة

[1] الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص50.

[2] نزار الريس، إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية المنهج البنيوي أنموذجا، **مجلة البصائر**، المجلد 12، العدد2، أيلول 2008م، الأردن، ص27.

ذاتها."[1] بمعنى أنّ عناصر اللغة هي أيضا تجمعها علاقة القرابة بين الكلام المنطوق واللغة وبين الدّال والمدلول وغاية الجملة والقواعد النحوية التي تجمعها. كما أنه قد عبر عن القرابة قائلا "أنّ وحدة البنية تتكون منها القرابة وهي المجموعة التي أطلق عليها إسم الأسرة الأولية والمؤلفة من الرجل والزوجة والأولاد ما يخلق وجود أسرة أولية."[2]

فلقد شبه ستراوس القرابة بين أفراد الأسرة الواحدة التي لها حدودها ووظائفها بنظام اللّغة إنطلاقا من إعتبار اللغة المحور الرئيسي في فهم القرابة التي تمثل الشارح لمنظومة القرابة ومسائلها، "وفي المنهج البنيوي لابد من تحليل النظام القرابة للوصول إلى البنية الكلية التي تحكم هذا النظام ومن ثم الوصول إلى القانون البنيوي، فمثلا لو أخذنا أسرة كوحدة قرابية وتقابل الجملة في اللّغة فهي تعد المظهر الحقيقي لنظام القرابة، حيث أنها تتكون من علاقات بين الأفراد والجملة أيضا تتكون من علاقات بين الكلمات أو الوحدات، وهذا ما نصل إليه هو التشابه بين اللّغة والقرابة وهذا ما يفسره ستراوس في كتابه البنى الأولية للقرابة."[3]

ب ـ البنيوية النفسية:

لقد إرتبط التحليل النفسي بالنقد الأدبي إرتباطا وثيقا على إعتبار أنّ الأدب هو شعور يعبر عن بواسطة لغة تصدر عن مرسلها، والمرسل هو ذلك الشخص المبدع في رسالته بعدما أن عاش في عالم ملؤه الإحساس والشعور، من خلاله يتولد الحلم الإبداعي ويتفاعل مع الواقع الملموس وهذا الإبداع لكي يعبر هذا المبدع عن ذاتيته ويتجسد إبداعه الفني في هذه الرسالة وبالتالي لا يمكن الفصل بين عمل المبدع وتجربته المعيشة.

أنا من الناحية البنيوية فقد تعرضت هذه العلاقة لتقلبات وأزمات كثيرة راجع لتغيرات في كل من الممارسة النقدية التي أحدثها تلك التطورات في مجال النقد والتحليل النفسي، ونتيجة

---

[1] كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ج1، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1977م، دمشق،.ص33.

[2] المصدر نفسه، ص33.

[3] دان سبيربر، البنيوية في الأنثروبولوجيا، تر: علي قانصو، دار التنوير للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2008م، لبنان، ص53.

لذلك إنتقلت البؤرة النقدية من سيكولوجية المؤفلى سيكولوجية القارئ ومنها على العلاقات بين القارئ و المؤلف والنص واللّغة، والسبب الذي يجعلنا نتحدث عن الأدب مع التحليل النفسي هو أن للمريض لديه ما يقوله من خلال اللغة فهو يخضع لعلاج عن ما أنكره وكبته أولا وقبل كل شيء العلاج الناطق "إذ أنّ العلاج ينطلق من الحواربين المريض والمحلل، أما مادة التشخيص فهي لغوية إلى حد بعيد."[1]

إن الفضل في تلاقي البنيوية والتحليل النفسي يعود لى جاك لاكانJacque Lacane 1901/1981من حيث أنه إتخذ اللّغة كوسيلة للتعمق في النفس الإنسانية فإعتبرهالاكان أساس التواصل بصفة عامة لاسيما بين المحلل والمريض فهي نظرية قائمة بذاتها.

إن دعوة لاكان بالعودة إلى فرويد كانت بمثابة حركة إستكشافية وإعادة كشف، لدرجة أن فرويد قد أصبح جزءا من البنيوية ومنه "أصبح فرويد مفكرا بنيويا يوجد بين كل من اللاشعور واللّغة على أساس أن اللاشعور نسق يتألف من شبكات أو عقد من الدلالات، وحين يقول لاكان أنّ هناك دائما على مستوى اللّغة شيء هو فيما وراء الشعور فإنه يعني بذلك أن اللاشعور بإعتباره لغة وهو بنية ومنه فهو حديث الأخر مقابل الفرد."[2]

إعتبرلاكان رائد في التحليل النفسي البنيوي، لذلك ذهب إلى التأكيد بأن إعتماد اللغة سوف يساهم في تقديم وصف للاشعوربطريقة علمية ويفهم بالدقة اللازمة. وعمل على تقديم قراءة مغايرة لفرويد مستندا في ذلك على المنهج البنيوي اللّغوي موضحا طريقته ولوجوئه إلى البنية اللغة بإعتبارها أهم مظاهر السلوك الإنساني.

فعلماء النفس يهتمون بالظاهرة اللّغوية ليوضحوا السّلوك بصفة عامة، بينما اللّغوييون يهتمون بها ليبينواالسّلوك اللّغوي بصفة خاصة.

---

[1] آن جفرسون، دفيد روبي، المرجع السابق، ص28.

[2] زكرياء ابراهيم، المرجع السابق، ص70.

على سبيل المثال المحلل النفسي عندما يريد أن يدرس الأحلام للكشف عن بضع العقد والأمراض والأزمات النفسية على إختلافها عند شخص معين، فإنه ببساطة ومن طبيعي أن يطلب من ذلك الشخص أن يحول أحلامه إلى سلوك لغوي بمعنى يطلب منه التكلم عن أحلامه، فالمحلل النفسي يدرس ألفاظ المريض وسلوكاته وتعابيره لا أحلامه في حد ذاتها.

إن نظرية لاكان اللّغوية من أهم النظريات في علم النفس وذلك لإظهاره العلاقة بين قطبي اللّغة وعلم النفس، عن طريق التعمق في النفس الإنسانية وكشف خفاياها فجوهر اللّغة في لاشعوريتها واللّغة تشكل منطلق اللاشعور وهذا يقود التحليل النفسي إلى إكتشاف بنيته الخفية، "ففي أعماق النفس البشرية تضرب الكلمة جذورها عن لاكان ومن هنا يترتب على الباحث أن ينقب في أعماق النفس البشرية باحثا عن أسرار اللّغة راصدا لقانونية الكلمة التي تتوغل في باطن النفس وفي رحاب مكوناتها اللاشعورية."[1]

وبالتالي على الباحث أنّ يتعمق في النفس الإنسانية للبحث عن أسرارها، ويؤكد لاكان أنّ العلم الذي يبحث في اللاشعور هو علم اللّسانيات ونجد في ذلك"وهذا ويعلن لاكان في مقابلة أجراها عام 1966م بأن العلم الذي يبحث في الوعي هو بالتأكيد اللّسانيات، فاللاوعي يتكون كلغة ويظهر في مظهرها وكأنه نفسها."[2] ويؤكد لاكان في مؤلفه كتابات (Ecrits) قائلا: "... إن ما تكشفه تجربة التحليل النفسي هو بنية اللغة بكاملها..."[3]

إن أول مؤشر للبنيوية هو اللغة، لأن كل الأبحاث التي سترد لاحقا في أي علم من العلوم، ستكون أول مؤشر للبنيوية هو اللغة، فلا وجود لمن لا يسمى.

من خلال أن اللغة هي الوعاء التي تحصل فيه المعرفة، فهي موجودة في كل لغة ضمن وداخل جهاز بنيوي يعتمد بدوره على اللفظ والقواعد والمعنى.

---

[1] علي أسعد وطفة، البنية اللاشعورية للغة عند جاك لاكان، **مجلة مغربية للترجمة في العلوم الإنسانية**، ط1، 1988م، ص2.

[2] المرجع نفسه، ص3.

[3] المرجع نفسه، ص16.

إن اللاوعي أو اللاشعور مبني كبناء اللغة وليس فوضويا كما جاء عند فرويد، فينطلق لاكان في قراءته لفرويد من مقولته الشهيرة الشعور مبني كاللغة، حيث يتصور لاكان مرآة اللاوعي هي اللغة والتي تعمل كبنية لتفسير السلوك الإنساني "ينظر لاكان إلى إكتشاف من قبل فرويد هو حدث جديد إنقلابي في المفاهيم البشرية."[1]

فقلد كان المعتقد السائد لدى علماء النفس سابقا أن اللاشعور هو عبارة عن مخزن ملم بالشهوات والنزوالغرائز الممنوعة من الخروج إلى الواقع لكن لاكان يرفض هذا المعتقد "يتحدى لاكان المحللين جميعا بأن يعودوا إلى قراءة كتب فرويد من أولها إلى آخرها، لكي يتأكدوا بأن اللاشعور هو بنية في حد ذاتها لها تركيبة شبيهة بتركيبة اللغة."[2]

ويتفقلاكان إلى سوسير ويمضي معه حتى يصل إلى "أن اللغة إستعارية بصورة أساسية، وهنا مقاومة داخل اللغة للإلمام بالمعنى وهذا لا يتيسر إلاّ بواسطة الإستعارة، والإستعارة هنا تخلق مدلول جديد وهي اللحظة التي يتم نسخها ما أنّ يتكون مدلول إلاّ وهو دّال إلى مدلول آخر، وهذا معنى الإستعارة في كلامه."[3]

وبالتالي لاكان يدعم مقارنته بين اللغة واللاوعي إستنادااإلى التعريف الرمزي اللّغوي عند سوسير تحليلاتها كلها تصب في مجرى الروافد البنيوية فهو ينطلق في نظريته من نظرية فرويد في اللاشعور ويضفي عليها طابعا لغويا، ومنه فاللّغة هي مفتاح الظاهرة اللاشعورية.

ج ـ البنيوية التكوينية(التوليدية):

في حين وجود التناقضات والرؤيا الفلسفية والعلمية المجردة، في التعامل مع التاريخ والإنسان، ظهر ما يعرف بالبنيوية التكوينية والتي كان المفكر الفرنسي الروماني الأصل لوسيان جولدمان، والذي أظهرها وبث فيها روح التوفيق بين طروحات البنيوية في صيغتها الشكلانية، وأسس الفكر الماركسي أو الجدلي.

---

[1] عدنان حب الله، التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان، دار الفرابي، ط1، 2004م، بيروت، لبنان، ص41.

[2] المرجع نفسه، ص89.

[3] وردة عبد العظيم عطا الله قنديل، البنيوية وما بعدها من التأصيل الغربي والتحصيل العربي، رسالة ماجستير بالأدب والنقد، الجامعة الإسلامية، 2010م، غزة، ص50.

قبل كل شيء يجب التأكيد على أن التكوين والتوليد هنا لانقصد به أي بعد زمني يعيد الشيء المدروس إلى تاريخ ولادته ونشأته، وهذا يعود لعدم إرتياحجولدمان لكلمة(بنية) لخشيته من الثبات والسكون الذين يمكن إضفاؤهما عليها. فهو يرى "أنه لايجبأن يتكلم عن البنى، لأنها لا توجد في الحياة الإجتماعية الواقعية إلاّ نادرا ولفترة وجيزة، وإنما يجب التطرق إلى عمليات تشكل البنى."[1]

"إن مفهوم البنية ومفهوم التكوين هما الأساس الذي تتكون منه البنيوية التكوينية، جيث تدرس المرحلة الأولى وتفهمها وتفسر المرحلة الثانية وربط العمل الفني بالبنى الفكرية الموجودة خارجه، وتدرك وظيفته ضمن الحياة الثقافية في الوسط الإجتماعي، وهذا المنهج لا ينفي تدخل اللاوعي في العملية الإبداعية."[2] وبالتالي البنيوية التكوينية تربط بين علم الإجتماع والبنيوية عندما تقول بضرورة تحليل البنية العمل الروائي الداخلية وأيضا تربط بين علم الإجتماع وعلم النفس عندما لا تنفي تدخل اللاوعي في بناء العمل الروائي.

وقد تميزت البنيوية التكوينية الذي أطلق عليها لوسيان جولدمان(Structuralismegénetiqu) بعدة تسميات منها البنيوية التركيبية والبنيوية التكوينية والبنيوية التوليدية هذه الأخيرة التي إعتمدها جابر عصفور حيث أقر "أن مبدأ التولد مبدأ أساسي حاسم في منهج ولدمان كله. الأمر الذي جعلني أوثر ترجمة البنيوية التوليدية على الإجتهادات المقابلة في الترجمة مثل الترجمة الهيكلية الحركية والبنيوية التكوينية والبنيوية التركيبية."[3]

لقد نشأت البنيوية التكوينية في أحضان الفكر الماركسي في ظل جهود المفكرين والنقاد الماركسيين للتوفيق بين أطروحات الشكليين ومبادئ الفكر الماركسي الجدلي الذي ركز على التفسير المادي والواقعي للفكر والثقافة عموما. ويعد جولدمان هو الذي أرسى دعائم هذا

[1] جمال شحيد، في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان جولدمان، دار ابن رشد، ط1، 1982م، بيروت، ص120.
[2] المرجع نفسه، ص125.
[3] محمد خشفة، تأصيل النص "المنهج البنيوي عند جولدمان"، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1997م، لبنان، ص53.

المنهج حين اعتمد على بعض من مقالات أستاذه جورج لوكان، وطورها فشل النقد الأوروربي كما فعل رولان بارث في النقد العالمي، "والبنيوية التكوينية اتجاه نقدي يرى أن المنهج البنيوي الشكلاني قد وصل بالنقد إلى الطريق المسدود، حين إقتصر على النص وحده دون أن يربطه بظروفه الإجتماعية. فجاء المنهج البنيوي التكويني ليرفد الدراسة النصية للأدب بدراسة الوسط الإجتماعي الذي أبدعه."[1]

لقد أشار جولدمان إلى أن المنهج البنيوي التكويني يختلف عن المنهج البنيوي الشكلي في تصور كل منهما للبنية، فالتكوينية ترى أن البنية ليست كيانا مغلقا إنما هي ذات دلالة وظيفية غير معزولة عن الذات الفاعلة والتاريخ، أما البنيوية الشكلية فإنها تفصل البنية عن الذات والتاريخ وعن كل البنى الإقتصادية والإجتماعية.

"وجولدمان يعترف بأهمية وفعالية البنيوية الشكلية كمنهج لكن مآخذه عليها يتمثل في تعاملها مع الأدب تعاملا، يستمد أدواته ومفاهيمه الإجرائية من اللسانيات، مما يؤدي إلى النص إعتبار النص كيانا لغويا مغلقا تنعدم علاقته مع البنية الإقتصادية والإجتماعية."[2]

ويستهدف لوسيان من وراء بنيويته التكوينية رصد رؤى العالم من الأعمال الأدبية الجيدة عبر عمليتي الفهم والتفسير بعد تحديد البنى الدالة في شكل مقولات ذهنية وفلسفية، "ويعد المبدع في النص الأدبي فاعلا جماعيا يعبر عن الوعي طبقة الإجتماعية ينتمي إليها، وهي تتصارع مع طبقة إجتماعية أخرى لها تصوراتها الخاصة للعلم، أي أن هذا الفاعل الجماعي يترجم أعمال وتطلعات طبقة الإجتماعية التي ترعرع في أحضانها، ويصيغ منظور هذه الطبقة أو رؤية العالم التي تعبر عنها بصيغة فنية وجمالية تتناظر مع الواقع."[3]

ويقدم محمد بنيس في كتابه ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب بمبدأين عبر عنهما جولدمان:

---

[1] المرجع نفسه، ص55.

[2] أديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993م، الكويت، ص100.

[3] المرجع نفسه، ص101.

المبدأ الأول: كما قال غولدمان: "إن أول معاينة عامة يرتكز عليها الفكر البنيوي تكمن في أن كل تأمل في العلوم الإنسانية يحدث لا من خارج المجتمع، بل إن هذا التأمل جزء _تقل أو تكبرأهميته حسب الوضعية بطبيعة الحال_ من الحياة الثقافية لهذا المجتمع، ومن خلالهما، للحياة الاجتماعية العامة، بالاضافة إلى أن التكوين الخاص للفكر، وبالمقياس نفسه حيث إن الفكر جزء من الحياة الاجتماعية، يغير قليلاً أو كثيراً، حسب أهميته، وفعاليته، هذه الحياة الاجتماعية نفسها."[1]

المبدأ الثاني: فيقول عنه "إن الفكرة الثانية الأساسية لكل علم اجتماع جدلي وتكويني بنيوي هو أن الأفعال الإنسانية أجوبة شخص فردي أو جماعي، تؤسس محاولة لتغيير وضعية معطاة في اتجاه ملائم لتطلعاته. وهذا يعني أن كل سلوك، وبالتالي كل فعل إنساني، له خاصية دالة ليست دائماً واضحة، ولكن الباحث يجب عليه عن طريق عمله اظهارها."[2]

د ــ البنيوية الفلسفية: لقد ظهرت البنيوية كإتجاه للبحث في علم اللغة وفي الأنثروبولوجيا وفي علم النفس وغيرها من العلوم ، وحققت إنجازات لا يمكن تجاوزها. وسوف نتحدث الآن عن علاقة البنيوية بالفلسفة، إنطلاقا من أنّ الإنجازات البنائية في العلم قلما خلت من أبعاد فلسفية.

صحيح أن البنيوية ظهرت في البداية كتعبير عن حاجة الإنسان المعاصر ومن ثم أصبحت نظرية في العلم ولكن إنّ إعطاء الأهمية والأولوية للبحث عن اللغة العلمية لم يحولا دون ظهور بمظهر الموقف الفلسفي وبالتالي أظهرت لنا البنيوية رؤى جديدة من صور التفلسف البنيوي.

وتتضح العلاقة بين البينيوية والفلسفة بوضوح من خلال الحوار المكثف بين أقطاب البنيوية مثل ليفي ستراوس وبين الفلاسفة أمثال الفيلسوف الوجود جان بول سارتر، حيث قد تطرق

[1] محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار العودة، ط1، 1979م، بيروت، ص115.

[2] المرجع نفسه، ص115.

البنائيين لمناقشات موضوعات فلسفية من الدرجة الأولى، في زمن أصبح الإنسان مفعولا به لا فاعلا.

فالبنيوية كإتجاه مولع بالنسقSystème بالرغم مما إتصفوا به من نظام إلا أنهم يميلون إلى تفضيل النظام والنسق على التغيير، ولهذا جاءت البنيوية ضد التاريخ ولأن التاريخ يُهدم ويتصف بالتغير والحركة، بينما النسق هو ثابت لا يتغير.

يقول ليفي ستراوس: "لكي نتوصل إلى الواقع ينبغي أن نستعبد المعاش وإذا استعبدنا المعاش، فإننا نستعبد تعبيرات مألوفة عاشت عليها الفلسفة حتى الآن مثل: أنا أفكر، أنا أتحدث، أنا أعمل، ويتبع ذلك أيضا رفض أي نشاط تلقائي للشعور."[1]

فبداية البنيوية كانت تستهدف الموضوعية بحذر وحرص، فالنسق هو عبارة عن تفكير بارد دون حماس لا علاقة له بالإنسان وشيد هذا الإتجاه بعيدا تماما عن الذات الفردية أو الجمعية، ولا يعترف بوجود ذات معبرة ولا على العمل المستقل.

"هذا هو الموقف البنائي الفلسفي الذي إنبثق عن تمسك البنائيين بإنجازات العلم وعن رفضهم لفلسفات الذات، والذي أصبح منظورا ذكريا يحمل بين طياته إنقلابا فلسفيا حقيقيا، ليمثل ثورة من نوع جديد."[2]

"إن الإنسان إختراع حديث العهد، صورة لا يتجاوز عمرها مئتي عام، إنه إنعطاف في معرفتنا وسيختفي عندما تتخذ المعرفة شكلا آخر جديدا."[3]

هذه المقولة التي إشتهر بها ميشال فوكو كانت تمثل أبعاد فلسفته البنيوية. كما يُعرف ميشال فوكو متأثر كثيرا بكتابات نيتشه وهيدجر وليفي ستراوس في صياغة فلسفته وتجاوز الخطاب الإنساني، أي النزعة الإنسانية والعمل على تقويضها ودحضها حيث يرى أن النزعة الإنسانية لم تخلق للإنسان سوى الأساطير وأنه مجرد إنعطاف في معرفتنا، حتى أنه يقول

[1] أديث كريزويل، المرجع السابق، ص76.

[2] محمد بنيس، المرجع السابق، ص128.

[3] محمد بنيس، المرجع السابق، ص128.

أنه إختراع حديث يعود إلى مئتي سنة، وبالتالي فلسفة ميشال فوكو تدحض وتقوض الفلسفة الغربية لأنها قائمة على الحداثة والنزعة الإنسانية. حيث إعتمد على النزعة التحليلية المعاصرة التي سادت في أوروربا في الخمسينيات القرن العشرين.

يعتبر فوكو نفسه منتميا لثقافة موت الإنسان وهو مدين بالمادة الفكرية التي إستقاها لكل واحد، من أجل بلورة معالم مشروعه الفكري الجديد، الذي يتحقق تحت شعار موت الإنسان وإختفائه، "فإنه لم يتردد في الإعتراف عند بداية طلوع نجمه، بإعجابه الكبير، وإنبهاره بالفكر التحليلي المعاصر، كما تمثله اللسانيات البنيوية، ودراسات ستراوسالأنثروبولوجية. وما أثار إفتتانه بذلك الفكر، هو بصفة خاصة إستخفافه بالنزعة الإنسانية وإقصاؤه لمفهوم الإنسان."[1]

[1] عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، دار المعارف، (د.ط)، 1989م، الإسكندرية، ص83.

المبحث الثالث: في ماهية المنهج البنيوي.

المطلب الأول: مفهوم المنهج البنيوي.

أ ـ لغة:

جاء في لسان العرب: "المنهج والمنهاج هو الطريق الواضح، والمنهج (بستكين الهاء) هو الطريق المستقيم "[1]،وجاء في المعجم الفلسفي لالاند، أن المنهج هو"الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء أو في تعليم شيء، طبقا لمبادئ معينة، ونظام معين، وبغية الوصول إلى غاية معينة."[2] ويقول ديكارت "أنا أقصد بالمنهج تلك القواعد المؤكدة والبسيطة، إذا رعاها الإنسان مراعاة دقيقة كان في مأمن من أن يحسب صوابا ما هو خطأ."[3]

ب ـــ إصطلاحا:

"المنهج: الطريق الواضحة، والخطّة المرسومة، ومنه: منهج الدّراسة ومنهج التعليم ونحوهما. ويقال: منهاج، والجمع: مناهج. ولفظ المنهج ترجمة للكلمة methode وفي اللغة الإنجليزية ونظائرها في اللغات الأوروربية، وهي تعود إلى كلمة يونانية كان أفلاطون يستعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، كما نجدها كذلك عند أرسطو أحيانا كثيرة بمعنى(بحث).

والمعنى الإشتقاقي الأصلي لها يدلُّ على الطريق أو المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب، خلال المصاعب والعقبات."[4]

وأيضا "ومناهج البحث: إنما يتناولها الأسس الفلسفية لكلّ منهج في كلّ علم، بعد الفراغ من تحليلهم لعمليات التفكير بعامة. وإنه، وإنّ تكن بتلك البحوث قيمتها، فإنها في الغالب قيمة نظرية، وذلك لأنّ كاتبيها فلاسفة لم يتخصّصوا في تلك العلوم المختلفة التي يتحدثون عن

---

[1] الزاوي بغورة، المرجع السابق،،ص108.

[2] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد، منشورات عويدات، 2001م، بيروت، ص116.

[3] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار مأمون للطباعة والنشر، ط3، 1979م، مصر، ص432.

[4] محمد سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية للنشر، (د.ط)، 2002م، مصر، ص86.

مناهجها. ولما كانت الممارسة الشخصية شيئا لا غنى عنه لتسديد الفكر النظري وإحكام مآخذه على الواقع، فإنّ كتاباتهم يمكن القول عنها بأنها ثقافة عقلية ورياضية للفكر أكثر منها قيادة عملية وتوجيها لخطى البحث."[1]

وبتالي يمكن القول أن المنهج يحمل وجهين فقد يكون المنهج نظريا وقد يكون تطبيقيا، بمعنى يمكن أن يحمل الصفة العملية(التطبيقية) وممكن يحمل الصفة الذهنية(النظرية). ولكن على إختلاف صورتين المنهج إلاّ أنه أخذ به العلماء والفلاسفة وقد إختلفوا في تطبيقه والأخذ به.

ويتحدّد تعريف المنهج البنيوي إنطلاقا من تعريف البنية بإعتبارها هي المكوّن الأساسي للمنهج البنيوي، وبالتالي البنية وهي الكيفية والطريقة التي تنتظم بها عناصر اللغة في مجموعة ما، حيث يتحدّد كل عنصر بعلاقته بالعناصر أخرى، ويعرف بياجي البنيوية "تبدو البنية بتقدير أوّلي مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة تبقى أو تتغير بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدّى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية."[2]

[1] المرجع نفسه، ص 81.

[2] المرجع نفسه، ص78.

المطلب الثاني: خصائص المنهج البنيوي.

يقوم المنهج البنيوي على جملة من الخصائص المشتقة من خواص البنية نفسها ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

1ــ تحليل شمولي: تقوم البنية على نوع من التحليل الكلي أو الشمولي للعناصر التي تتكون منها، والتي ترفض معالجتها على أنها وحدات مستقلة، والذي يهم هو العناصر التي تتكون منها البنية وليس البنية، وليس هو الكلّ أو المجموعة، وإنهما ما يهم هو العلاقات القائمة بين عناصر هذه البنية، وذلك أن كل عنصر يكتسب قيمته داخل البنية، وفي علاقته ببقية العناصر، بحيث ينطوي الكل تحت قانون شامل هو نفسه قانون النسق أو النظام.

يقول صلاح فضل: " إنّ المنهج البنائي في صميمه يعتبر تحليلا وشموليا في نفس الوقت، فهو يرفض أن يعالج العناصر التي تتكوّن منها كل مجموعة ما على أنها وحدات مستقلة، إذ إن البنية ليست مجرد مجموعة من العناصر المتآزرة، ولكنها كل ينبغي إعتباره من وجهة نظر علاقته الداخلية طبقا للمبدأ المنطقي الذي يقضي بأولوية الكل على الأجزاء."[1] لذلك يتحدد مفهوم النسق أكثر عندما تثار علاقته بالبنية، نظرا للإرتباط القائم بينهما، وذلك لإعتمادهما على النظرة الكلية والشمولية "فالكلية ما هي إلاّ نسق من الوحدات."[2]

فهذه القاعدة الشمول والكلية نابعة من مميزات البنية التي تفترض الكلية في مجموع عناصرها، وتعتمد أيضا الشمولية كأهم مبدأ من مبادئها منهجية. وعلى هذا الأساس يقوم المنهج البنيوي على فكرة مركزية تقوم على مبدأين أساسين هما:

أـ أسبقية الكل على الأجزاء Priorité du tout sur les parties.

ب ـ أسبقية العلاقة على الأجزاء priorité de la relation sur les parties.

[1] صلاح فضل، المرجع السابق، ص ص195.196.

[2] الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص123.

ولهذين المبداين أهمية منهجية ومعرفية في إطار التحليلات البنيوية، حيث يتجلى ذلك في الفهم الجيد للقانون العلمي، والتأكيد بالتالي على مبدأ التحليل الشمولي للمنهج البنيوي.

2ـ الإعتماد على القيم الخلافية:إعتبر دي سوسير اللغة بنية أو نظاما، بمعنى إعتبرها مجموعة من العناصر تربط بعضها بعضا بعلاقات، بحيث تجعل هذه العناصر لا معنى لها في ذاتها، وأنما معناها في إرتباطها ببعضها البعض والتغير الذي يحدث لعنصر من هذه العناصر يظهر أثره على بقية العناصر الأخرى.

وهذا ما إعتمد المنهج البنيوي عندما بدأ في التبلور، وعندما أدرك الباحثون ضرورة مقابلة مجموعات مختلفة من الظواهر وتنضيمها على الرغم من إختلافها ومن هنا فإن "المنهج البنائي يتمثل أولا في الإعتراف بالفوارق بين المجموعات المنتظمة وعرفت العلاقة فيما بينها، كما يتمثل ثانيا في تنظيمها حول محور دلالي دقيق يجعلها تبدو كتنويعات مختلفة ناجمة عن نوع من النوافذ الائتلاف."[1]

فقد عمد دي سوسير واللّسانيين البنيويين من بعده على تحديد البنية اللّغوية بالإعتماد على السّمات أو الخصائص التي تختلف فيها عن غيرها من الوحدات، أو ما يميزها عنها في نطاق النظام. وبالتالي يصبح عماد الوحدة اللّغوية هي تلك السّمات التي تختلف فيها العناصر وتتقابل مع سائر العناصر للنظام.

يقول دي سوسير "ليس في اللّغة إلاّ الإختلافات، بل يمكن أن نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك: فوجود إختلاف ما يفترض بصورة عامة وجود عناصر إيجابية يقوم بينها ذلك الإختلاف، أما في اللغة فإنك لا تجد إلاّ إختلافات بدون ما وجود لعناصر إيجابية، فسواء إعتبرت الدّال أو المدلول فإنك لن تجد في اللغة أفكارا ولا أصواتا وجودها سابق بوجود النظام اللغوي، كما قد يتبادر في الذهن، إنما تجد فيها إختلافات تصورية وأخرى صوتية نابعة من ذلك النظام."[2]

---

[1] صلاح فضل، المرجع السابقن ص197.

[2] فردينان دي سوسير، المصدر السابق، ص111.

3ـ الطبيعة الإزدواجية للمنهج البنيوي: قد قال البنيويين بإزدواجية المنهج البنيوي، وعبروا عن تلك بقولهم أنه منهج الفهم والشّرح، أو منهج التحليل والتركيب، أو منهج التدرج والإرتداد. ذلك أن المنهج البنيوي يسعى على إكتشاف البنية.

وبما أن طبيعة البنية لا شعورية وعقلية نتيجة وجودها على ظاهر الأشياء، فإنّ ليفي ستراوس يرى أنّ الخطوة الحاسمة في المنهج البنيوي هي "أنه من أجل تعيين الواقع يجب حذف المعاشLe vécu . فالمنهج البنيوي عكس المنهج الظواهري يعتمد على كل ما هو تجريبي ومدرك وحسي ويرفض الوعي والشعور من أجل إدراك اللاشعور. ومن أجل إكتشاف البنية يسعى المنهج البنيوي إلى تبنّي مبدأ المعقوليةPrincipe d'intelligibilité ، حيث يكون مدعوّا إلى إستعمال منطق ذي طبيعة ثنائية Une logique binaire ."[1]

إضافة إلى الخصائص الأخرى والتي يتمتع بها المنهج البنيوي، فإنّ له مميزات أخرى:

"يتكئ المنهج البنيوي على الإستنتاجوالإستنباط أكثر من إعتماده على الإستقراء"[2]، لأن الإستنباط هو العمل على دراية من خلال وضع نموذج يفسّر القضايا العالقة، وتلاحظ هذه القضايا وتوصف من خلاله. بينما الإستقراء هو فقط وصف للظواهر وتصنيفها، مثلا لذلك في مجال اللّسانيات عندما نقوم بعمليتي الإستنباطوالإستقراء "وصف اللّغة انطلاقا من ملاحظة القضايا اللغوية وتصنيفها وإستقصاء قواعده، في حين يعني الإستنباط: دراسة اللغة عن طريق وضع أنموذج يفسّر القضايا اللّغوية الممكن ملاحظتها، ويدرس العلاقات القائمة فيما بينها."[3]

ـ أيضا هو منهج يعتمد على التجربة، ويتمّ فيه التدرّج من الملاحظة إلى التجربة إلى النموذج للوصول إلى البنية.

---

[1] الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص130.

[2] صلاح فضل، المرجع السابق، ص36.

[3] ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحيدث"المبادئ والأعلام"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1983م، لبنان، ص153.

ـ هو منهج يقوم على الموضوعية والتي تعني طرد وإستبعاد الأفكار المسبقة الذاتية أو الخاصة، "بل لا يقف عند هذا الحدّ من الهجوم على الذّات، حيث لم تعد مهمّة العلوم الإنسانية تمكن في بناء الإنسان بل في القضاء عليه كما سنرى في البنيوية الفلسفية لأن عنصر الذاتية عنصر مشوش لعملية الإدراك."[1]

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي أنّ ما جعل البنيوية تحتل الريادة وتتسم بالمنهجية هو قولها بالموضوعة العلمية،حيث يقول "لّما تحققت لها القدرة على إحكام تصنيف الأشياء، وتوفّرت لها طاقة الإستبدال على تأليف الكليات إنطلاقا من الأجزاء الذرية، بدت وكأنها الطريقة التي تتجاوز سبل الذاتية ومسالك الإرتسام الوجداني، بل وتتخطّى كلّ التباس إنطباعي أو تقويم معياري."[2]

وبالتالي من خلال هذه الخصائص والسمات التي تميز بها المنهج البنيوي أصبح غير منعزل، بل هو آت عن نزعة عامة في التفكير شغلت الباحثين والمفكرين في كل فروع البحث العلمي.

المطلب الثالث: خطوات المنهج البنيوي.

المنهج البنيوي كغيره من المناهج البحث العلمي يعتمد على مجموعة من القواعد والقوانين تنطلق عموما من ملاحظة الوقائع ومن ثم وصفها دون إطلاق أي حكم مسبق عليها ومن ثم يتم التجريب على الوقائع والتي تكون من خلال شكلين:

"أ ـ تجريب على الوقائع، ب ـ تجريب على النماذج،فأما (أ) فيعني مستوى التجربة الخام، التي تعقب مباشرة مرحلة الوصف والملاحظة. فهو يدلّ بذلك على مرحلة التأكّد من المعلومات التي تّم جمعها عن طريق الملاحظة، في حين يدلّ (ب) على مرحلة التجربة الخاضعة للإستدلال، والتي تعني أساسا مرحلة بناء النماذج والتجريب عليها."[3]

---

[1] المرجع نفسه ، ص133.

[2] عبد السلام مسدي، المرجع السابق، ص145.

[3] الزواوي بورة، المرجع السابق، ص116.

ثم تلي مرحلة التجريب مرحلة أخرى وهي بناء النموذج ومثلا لذلك عند ليفي ستراوس حين تبنى فكرة النموذج في تحليلاته البنيوية الانثروبولوجية للمجتمعات البدائية، "حيث توصل إلى تحديد مفهوم البنية الإجتماعية من خلال فكرة النماذج، والتي يتم تكوينها إنطلاقا من النماذج اللّغوية، حيث جعل من البنية نموذجا ذا خاصية منتظمة ومطردة، يلزم تحديدها معرفة النموذج الذي ترتكز عليه هذه البنية، وهذا يعني أنّ النموذج عبارة عن صياغات نظرية تفترض تعريفا شاملا غير مغرق في التعقيد..." [1]

فالبنية لا تهتم بالوقائع بقدر ما تهتم بوصفها وضبطها وتفسيرها وذلك من خلال إيجاد تفسير شامل وملم لها، ويعتبر الدّكتور فضل صلاح أن كلمة نموذج "من الكلمات الثرية المعقدة التي قد تشير إلى مجرّد عمليات تجريدية ذهنية تساعد الإنسان على فهم الواقع، أو أنها تطلق على مجموعة عمليات تنتمي إلى الواقع نفسه."[2]

ويشترط في هذه المرحلة بناء النموذج الدقة الموضوعية وجمع الوقائع قيد الدراسة "يقصد بالأنموذج كل تركيب يوازي الموضوع المدروس من حيث المحتوى الوظيفي، من هذا المنطلق، يمكن إستعمال الأنموذج الواحد لدراسة أكثر من موضوع واحد، وإنّ إختلفت مادة هذا الموضوع. فالشّرط الأساس الواجب توفّره على هذا الصعيد يكون في أن تؤدّي هذه المواد المدروسة وظيفة متشابهة، بعبارة أخرى أن تشترك هذه المواد في طريقة تأدية وظيفتها."[3] وهذا يعني أنّ النموذج هو عبارة عن مخطط نظري يستعمله ويبنيه الباحث عندما يكون بحاجة إلى مادة علمية، حيث من الممكن أن لا يجد الباحث اللساني المادة اللغوية اللّازمة للقيام ببحثه العلمي وبالتالي يلجأ إلى بناء نموذج لفهم أكثر آلية وسيرورة بحثه.

[1] مرجع نفسه، ص118.

[2] صلاح فضل، المرجع السابق، ص183.

[3] ميشال زكريا، المرجع السابق، ص163.

ومن خطوات المنهج البنيوي المرحلة الرابعة والتي تتمّ بعد الملاحظة والتجربة وبناء النموذج، تتمثّل في الوصول إلى البنية والكشف عنها. "ذلك أن خصائص النموذج تماثل خصائص البنية، من نسقية، ودراسة العلاقات، والقيام بالتبديلات والتحويلات. كما أنّ هناك دائما نماذج متعددة ترتبط بذات الباحث وبمدى إمكانية تطبيقها، فيتعّين إمّا الأخذ بهذه النماذج أو تعديلها أو تطويرها أو تغيرها وفقا لمطابقتها لمعطيات الحقيقية والواقع الذي يتصدّى لتفسيره والتكهّن به،في حين أنّ البنية تبقى واحدة."[1]

ولا يتوقف الأمر بالوصول إلى البنية بل يتعدى إلى مرحلة أخرى وهي النسق وذلك أنّ البنية تتموضع ضمن نسق عام.

"فبنية القرابة مثلا تتموضع ضمن نسق القرابة لتشكّل جزءا منه، بحيث تكون العلاقة القائمة بين البنية والنسق هي العلاقة الكلية في إطار العناصر المؤلفة للبنية، وكذلك البنية الإقتصادية فإنها تتموضع ضمن نسق الإقتصادي مثل بنية علاقة الإنتاج التي تتموضع ضمن نسق إقتصادي عام قد يعرف بالإنتاج."[2]

أما المرحلة الأخيرة التي يصل عليها الباحث اللساني في تطبيق المنهج البنيوي تتمثل في إكتشاف والوصول إلى نسق الأنساق، أو ما يعرف بنظام الأنظمة، والذي يقوم بدوره على مبدأين هامين من مبادئ المنهج البنيوي هما: العلاقة والتزامن."[3]

[1] الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص121.

[2] الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، ص ص120.121.

[3] المرجع نفسه، ص122.

خلاصة: بما أن البنيوية تُعَدُ أحد أبرز مشاريع الحداثة الغربية، فإن فاعلية البنيوية تظهر في إكتشاف ما كان مغيبا في الدرس اللساني والأنثروبولوجي والنفسي، حيث إستطاعت البنيوية أنّ تقف على حقائق هامّة فتحت لها إمتيازات في مباحث واسعة في العلوم الإنسانية، بداية بعلم اللغة (اللسانيات)، وقد تناولت الحديث عن أشهر مؤسسي البنيوية والأعلام الذين أسهّموا في بلورة البنيوية وتحديد مبادئها ومرتكزاتها، أيضا تعرضت بالبحث والتحليل لمفهوم "البنية" و "البنيوية" في محاولة للتعريف بهما، مع إبراز ما يتمتع به المصطلح من خصائص ومميزات، وتعتبر الفكرة الأساسية للبنيوية التي أطلقها العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير في اللسانيات هي أن اللغة بنية، أي كيان واحد متكامل، يتكون من جزئيات في نظام محكم تحكمه عدّة علاقات، فالبنيوية هي مجموعة العلاقات القائمة بين عناصر النظام الواحد.

الفصل الثاني:

تجاوز بول ريكور للنظرية البنيوية

تمهيد:

في الستينات بدأ ريكور تساؤله الفلسفي في دائرة الإهتمام التأويلي، وربما كانت كتاباته الأولى مستغرقة بنوع من التأمل الذاتي القائم على الأخلاق المسيحية غير أنّ سرعان ما وجدَ طريقة إلى الإهتمام بالبنيوية، ووجد ريكور أنه من الضروري نقد الأسس المعرفية لعلم اللغة الحديث وأنّ يعيد النظر في المسلمات التي تقوم عليها النظرية البنيوية والتي يعتبرها البنيويون الجوهر الضمني في دراساتهم، ولم يعد ريكور للتطبيقات الفرعية للبنيوية في فروع الأنثروبولوجيا والأدب وعلم النفس ... بل توجه إلى النموذج اللساني الذي صاغه فردينان دي سوسير ليضعه تحت طائلة النقد الفلسفي.

يحاور ريكور النظرية البنيوية وينتقدها من خلال مسلماتها ونتائجها بهدف إعادة الإعتبار للغة لأن اللغة هي عبارة عن وساطة بين مختلف الأفكار والأشياء. في حين يحاول تقويم المنهج البنيوي ويستثمره لتطوير مشروعه الهيرمينوطيقي الذي إعتبره البعض أهم محاولة في القرن العشرين.

المبحث الأول: نقد مسلمات النظرية البنيوية.

المطلب الأول: ثنائية اللغة.

يعرض بول ريكور في كتابه "نظرية للتأويل الخطاب وفائض المعنى" العائق الذي تعرضت له الدراسات البنيوية وتمركزاتها حول علم اللغة بقيم ثنائية (الكلام/اللغة)، فتوجه بول ريكور إلى النموذج اللّغوي الذي صاغه فردينان دي سوسير في مؤلفه "محاضرات في علم اللغة العام" والذي من خلاله قام بالتمييز بين اللغة والكلام حيث "اللغة بوصفها كلاما واللغة بوصفها لسانا وهذا التمييز الذي قام عليه علم اللغة الحديث، واللغة عبارة عن مجموع من الشفرات اتي ينتج المتحدث إليها رسالة معينة."[1]

حيث قام دي سوسير بتمييزه الشهير بين اللغة والكلام "بيد أن دي سوسير عندا رمى إلى حقل الكلام بالتنفيذ النفسي العضوي وبالأداء الفردي وبالتركيبات الحرّة للخطاب إستبقى للغة القواعد المكونة للشرعية والتأسيس المشروع بالنسبة إلى الجماعة اللّسانية."[2]

فقد إستبدل ريكور الكلام بالخطاب وأعاد النظر في ثنائية دي سوسير عن اللسان Langue والكلام Parole. ووضع الخطاب Discourse محل الكلام "لأن الكلام يمتاز بالتنافر وبعدم الإنضباط بينما يمتاز اللسان أو اللغة بالإنسجامو التماثل، مما يفضي إلى جعله موضوعا للعلم. الكلام عند دي سوسير فردي وتعاقبي وعارض، واللغة أو اللسان هو إجتماعي وتزامني ونسقي"[3]

فمن ناحية ريكور يضع الخطاب بدلا من الكلام ليس فقط ليؤكد على خصوصية الخطاب بل ليفرق بين علم الدلالة والسيمياء لأن السيمياء في رأيه تدرس العلاقة، بينما علم الدلالة يدرس الخطاب أو الجملة.

---

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد غانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2003م، المغرب، ص21.

[2] بول ريكور، صراع التأويلات، دراسات هيمينوطيقية، تر: منذر عياشي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2005م، بيروت، لبنان، ص118.

[3] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، المصدر السابق، ص67.

فالخطاب حسب ريكورو واقعة لغوية. والشائع أن الخطاب أو الكلام هو نقطة ضعف المعرفية للغة في رأي اللغويين، لأنه ينكوي على البعد الزمني، وهو بعد متغيّر تهدف الأنظمة أنّ تتخطاه وبالتالي الخطاب واقعة، وحسب رأي البنيويين أن الأحداث تختفي بينما تبقى الأنظمة. وبالتالي الخطوة الأولى في تصور ريكور لبناء علم الدلالة الخطاب "هي التخلص من الضعف المعرفي الذي يطغى على دراسة البعد الزمني في الخطاب. في البداية يشير ريكور أن لأية رسالة لغوية وجودا زمنيا، في تسلسل خطي متتابع يستغرق زمنا.وهذا البعد الزمني للرسالة يضع الشفرة خارج إطار الزمن."[1] وبالتالي نلاحظ أن ريكور يستخدم مصطلحي الشفرة والرسالة بمعنى اللغة والكلام عند دي سوسير، والرسالة هي التي تضفي عليها الفعلية، والرسالة هي التي تضفي الوجود الفعلي على اللغة بكاملها. "فالرسالة أو الخطاب ليست مجرد لحظة وسيطة أو زائلة، بل إن في وسعنا إعادة صياغتها بكلمات أخرى في اللغة نفسها أو ترجمتها إلى لغة أخرى. والرسالة برغم هذا التنقل بين العبارات واللغات قادرة على الإحتفاظ بهويتها الدلالية التي يمكن وصفها بأنها القضية الفلانية أو الإخبار عن كذا."[2]

ويتميز الخطاب عند ريكور بصفة الإسناد Predication. وهو ينقل عن بنفست "أنّ اللغة قد تستغني عن الفاعل أو المبتدأ أو المفعول أو غير ذلك من المقولات اللّغوية ولكنها لن تستغني أبداً عن المسند. فالمسند هو العامل الذي لا يستغنى عنه في الجملة. وأنواع المسند إليه جميعا (سواء أكان إسم علم أو ضميرا أو إسم إشارة أو ظرف زمان أو مكان .. إلخ) تشترك في حيازتها على هوية واحدة ووحيدة. بينما يشير المسند إليه إلى أنواع من الصفات أو فئات من الأشياء أو العلاقات أو الأفعال. المسند إليه واحد وثابت، والمسند غزير ومتعدد ومتغير."[3]

---

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، المصدر السابق، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص12.

[3] المصدر نفسه، ص13.

وعليه الخطاب ذو بنية خاصة به، ليست هي بنية التحليل البنيوي فهي لا تشبه بنية الوحدات المنفصلة المعزولة عن بعضها. بل هي بنية التحليل التأليفي، وبالتالي التفاعل بين وظيفتين تحديد الهوية والإسناد في الجملة الواحدة.

المطلب الثاني: إختزال الجوانب الجوهرية في الجوانب الشكلية.

هذه المسلمة تجعل من اللغة "علم يهتم بالخواص الكلية للغة في مقابل الخواص الجوهري، فالكلمة تستمد معناها من النظام ككل، وهي بمفردها لا تحمل أي معنى وفي هذا يقول دي سوسير ليس للكلمات قيم إيجابية بل هناك فروق فقط"[1] وبالتالي الكلمة في التحليل البنيوي لا تحمل معنى خاص بها وبمفردها إنما تستمد معناها من النظام الكلي الواحد. "فليس لأي وحدة منخرطة في نظام معين معنى مستقل بذاته، بل هي تستمد معناها من النظام الكلي. الكلمة المفردة ليس لها معنى في ذاتها، بل تستمد معناها من الوحدات أو الكلمات الأخرى المجاورة لها في السياق الذي ترد فيه، وهذا هو المحور التتابعي Syntagmatic، أو الكلمات الغائبة ولكنها تستطيع أن تحل محلها، وهذا هو المحور التبادلي Paradigmatic وكما قال دي سوسير فليس للكلمات قيم إيجابية، بل هناك فروق فقط."[2]

وبالنسبة لريكور هذه المسلمة تجعل علم اللغة يهتم بالخواص والجانب الشكلي فقط، ويغض النظر عن الجانب الجوهري أي الخواص التي تجعل المفردات اللّغوية ذات قيم إيجابية، فحسب دي سوسير وبضوء تعابير ريكور ليس للكلمات قيم إيجابية أو وجود مادي في نظام العلامات. بل هناك فروق تجعل من علم اللغة علما يهتم بالخواص الشكلية في مقابل الخواص الجوهرية.

"وهنا يظهر لدينا التعارض الجلي الواضح حين تكون المفردة اللغوية هي قيمة إيجابية لمعنى شيء محدد بخلاف ما تريده البنيوية في تجريدها المفردة عن المنظومة الواقيعة وسحبها إلى مصاف التجريد النسقي السيميائي الذي يعول عليه علم اللغة في البنيوية

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، المصدر السابق، ص11.

[2] المصدر نفسه، ص9.

والتأويلية.. بمعنى أكثر وضوحا النسق اللغوي الدال لمعرفة الخارج الواقعي لا قيمة حقيقية له في سيمياء علم اللغة الذي يهتم بإيجاد علاقات لا ينتظمها علاقات داخل تشكيلات بنية اللغة.. ودلالة المعنى المراد من المفردة لا يحمل واقعية المردود السيميائي لها وأنما يكون في وضعها ضمن نطاق شكل السياق الذي ينتظمها بعيدا عن معناها الغير المتحقق في العالم الخارجي."[1]

وبالتالي شكلت اللغة في البنيوية عالمها الخاص بها الذي تشير فيه كل وحدة منه إلى وحدة أخرى داخل النظام الواحد بفضل تفاعل التناقضات والإختلافات والفروق القائمة في النظام اللغوي. وبالتالي لم تعد اللغة بوصفها صورة حياتية بل أصبحت مغلقة على ذاتها وذات علاقة داخلية وفقط. فالبنيوية طرحت فكرة أنه من الممكن أن تعتبر البنى التحتية تأويلا إختزاليا يرى أي معنى ظاهري، لذلك إهتم مشروع ريكور الفلسفي بإظهار ضعف البنيوية وأنها تعد أداة تحقيق تبحث في وتتعلم من البنى المنتجة، وأنها ضلت طريقها حينما إعتبرت نفسها للموضوعية بدون ذاتية وهذا ما أطلق ريكور "فلسفة متعالية بدون ذات متعالية".

المطلب الثالث: مسلمة إنغلاق العلامات (نسقية اللغة).

لقد تمكنت اللسانيات البنيوية من جعل اللغة موضوعًا متميزا للعلم عن طريق التمييز بين اللغة والكلام. والكثير من المفاهيم الأخرى التي ميّزت المدرسة البنيوية، فاللغة ليست موضوعا، وإنما هي في الحقيقة ظاهرة ترتبط بتجربة المتكلم والمتحدث والسامع، مما يجعل اللغة موضوعا نسبيا، لأن الكلام هو الفعل الذي يسمح للمتكلم بتجاوز العالم المطلق لنظام الإشارة بقصد قول شيء ما عن شيء آخر. ففلسفة اللغة ترى العلم الذي يتخذ من اللغة موضوعا له لا يتنفذ كلية السؤال الذي تطرحه اللغة إعتبارًا أن اللغة ههي الواسطة بين الإنسان والإنسان، ولا وجود لعلاقة طبيعية ومباشرة بين الإنسان والآخر إلا من خلال نظام من الرموز يكشف عن معطى أساسي وعميق بالنسبة لوضعية الإنسان وهو السماح بإمكانية وجود فكر خارج الدائرة البيولوجية.

[1] الموقع الإلكتروني: https://m.ahewar.org، 00.31، 11-05-2023.

وبالتالي "موقف الإبستمولوجي للسانيات البنيوية، القائل أنّ اللغة نظام مغلق من العلامات ووحدة مستقلة من العلاقات الداخلية المترابطة، وهو قرار يعتبر تعسفا إتجاه التجربة الإنسانية، ويصبح النموذج البنبويإقصائيا اتجاه اللغة نفسها بإعتبارها فعل كلام وبإعتبارها قول وبناءا عليه يجب الرجوع إلى فهم متكامل للغة من خلال التفكير في وحدة اللغة والكلام، وهو ما حاول بول ريكور إنجازه من خلال إقامة فينومينولوجيا الكلام مقابل علم اللغة."[1]

إن الأساس الذي إنطلق منه ريكور لنقد الإتجاه البنيوي هو أن اللغة نظام مغلق من العلامات وعلى ذاته وقدم نقدًا لأسس المعرفية لعلم اللغة الحديث، التي يراها الإتجاه البنيوي الأساس الذي ينطلقون منه، وقد توجد ريكور إلى النموذج اللغوي الذي صاغه دي سوسير في مؤلفه "محاضرات في علم اللغة العام".

إن هذه المسلمة تؤكد أن اللغة عبارة عن نسق مغلق من العلامات مكثف بذاته وهذا معنى قول دي سوسير "إن اللغة تكتفي بذاتها"[2]

وبالتالي تصبح اللغة "نظاما لا يعرف إلا نسقه الخاص ويخضع بقواعد تتحكم في هيكله وعلاقاته."[3] وهنا يأتي الحديث عن "إنفصام العلاقة بين اللغة والواقع الخارجي، فالعلامة اللّغوية هي علاقة بين الدّال والمدلول فقط دون الإحالة إلى الخارج هذا الإنفصام يجعل من الأنظمة اللّغوية أظمة مغلقة ومكتملة، تنطوي ضمنا على جميع العلاقات الممكنة داخلها وبالتالي فلا علاقة لها بالخارج اللّغوي"[4]

إذن اللغة في التحليل البنيوي هي نظام مغلق من العلامات ومنغلق على ذاته، وهذه المسلمة تبنى عليها كل الأحكام. وأصبحت اللغة في البنيوية هي وساطة بين علامات

---

[1] محمد شوقي الزين، تأولات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002م، ص106.

[2] المرجع نفسه، 120.

[3] صلاح فضل، المرجع السابق، ص35.

[4] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، المصدر السابق، ص11.

وعلامات داخل النظام الواحد ولم تعد وساطة بينها وبين العالم الخارجي والنتيجة أنّ الوعي هو وعي باطني ووعي باطني قوامه التوجه نحو الداخل.

ويعرف العلامة اللغوية "هي تفاعل بين عنصرين هما الدّال والمدلول، وهذان العنصران يمكن أنّ يخفضا نوعين من التحليل فقط، هما التحليل الصوتي والدلالي، من دون أن يسمحا لنوع آخر من التحليل خارج مستويات البحث اللّغوية وفي رأي ريكور هذه المسلمة تكفي لوسم البنيوية بأنها نمط كلي من التفكير، يتخطى جميع الإشتراطات المنهجية. إذ لم تعد اللّغة تظهر بصفتها توسطًا أو وساطة بين العقول والأشياء. بل تشكل عالمها الخاص بها الذي تشير فيه كل وحدة منه إلى وحدة أخرى من داخل هذا العالم نفسه بفضل تفاعل التناقضات و الإختلافات والفروق القائمة في النظام اللغوي."[1]

وأصبحت اللغة "صورة حياتية" كما يعبر عنها فيتغشتاين بل صارت نظاما مكتفيا ومنغلق على ذاته ذو علاقات داخلية فقط وتعبر عن وساطة بين علامات وعلامات، ولم تعد وساطة بين اللغة والعالم الخارجي. وبالتالي تفقد اللغة وظفتها بصفتها خطابًا.

[1] سعيد الغانمي، العابرة للإستعارات والمعاني (من نقد البنيوية إلى التأويل)، **منارات**، 11h of Tuesday. 32.49PM. 06 December 2018.

المطلب الرابع: التزامن يسبق التعاقب.

لقد إهتم علماء اللّغة سابقا قبل دي سوسير بنوعين من الدراسة أولهما دراسة آنية التزامنية وصفية وأخرى دراسة تاريخية تعاقبية تهتم بدراسة تطورات اللّغة عبر مراحل.

وبدأ تمييز واضحا بين الدراستين مع ظهور مؤلف دي سوسير "محاضرات في الألسنية" وقد سادت البنيوية الرافضة لمبدأ التطور والتغير الزمني(Diachronie)، وكذلك لكل غائية في التفسير والإكتفاء بوجهة النظر الآنية أي بالتعاصرية(Synchronie). ووجه دي سوسير إهتمامه الأكثر على الدراسة البنية التزامنية للغة كونها نظام مغلق قائم بذاته، بينما يجدُ الدراسة التعاقبية التاريخية قاصرة على دراسة اللّغة دراسة علمية دقيقة.

إضافة إلى ما سبق يبدو الشرح البنيوي من غير بقية عدما تتغلب الآنية على التعاقبية، "فإنه لا يقدم غير ضرب من الهيكل العظمي تكون سمته المجردة بارزة عندا يتعلق الأمر بمضمون متضافر التحديد في الوقت نفسه{...}، وإذا كان تفكيك وكانت هذه الواقعة وجودية لفهم الذات والكينونة، فإن الفكر البنيوي سبقى فكرا لا يفكر في نفسه، وفي مقابل ذلك فغن الأمر يتعلق بفلسفة للفكر، وإنّ تفهم نفسها بنفسها بوصفها هيرمينوطيقا لكي تبدع بنية إستقباللللأنثروبولجيا البنيوية وبهذا الخصوص، فإنه على وظيفة الهيرمينوطيقا أن تجمع فهم الآخر وإشاراته في عدد من الثقافات مع فهم الذات والكائن."[1]

في حين رأى ريكور أنه من الضروري نقد الأسس المعرفية لعلم اللغة الحديث، أي يعيد النظر في الأسس والمسلمات الأساسية لهذا العلم فهو توجه بالنقد إلى النموذج الذي صاغه فرديناند دي سوسير، في رأي ريكور أولها التزامن سبق التعاقب "لأن الانظمة أكثر معقولية وقابلية للفهم من التغيرات التي تطرأ عليها. وفي أحسن الأحوال فإنَّ التغير هو حالة شاذة طارئة على نظام ثابت. وبالتالي فإن دراسة تاريخ التغيرات يجب أن يأتي بعد النظرية التي

[1] بول ريكور، صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، المصدر السابق، ص ص85-86.

تتولى وصف الحالات التزامنية للنظام. وفي رأي ريكور فإنّ هذه المسلمة هي الأساس الذي إستندت إليه النزعة التاريخية Historicism في القرن التاسع عشر."[1]

فالمقاربة التزامنية في البنيوية يجب أنّ تسبق أية مقاربة تعاقبية لأن الأنظمة والأنساق يمكن فهمها وتعقلها أكثر من المتغيرات، التعاقب الزمني الذي يقوم على الصيرورة المستمرة الدائمة كحوادث ووقائع تكون بمجملها تشكيل عوالم لغوية ليس بالضرورة معبّر أمين عنه هي في واقعها ثبات مرحلي لموجودات يميزها التغير المستمر، يختلف ولا يشبه التزامن الذي تحدده اللغة بحدود أكثر من حدث تزامني متواشج ضمن نظام لغوي وأنساق لغوية أكثر من إمكانية رصده كتعاقب تزميني في عالم الأشياء.

وبالتالي تصبح اللسانيات تزامنية، بإعتبراها علم الوضيعات في جوانبها النسقية مغايرة للسانيات التعاقبية، أو علم التطورات المطبق على النظام. كما يعتبر التاريخ هنا ثانوي ويمثل فساد للنظام هذه الإتلافات أقل معقولية من حالات النظام: "يكتب فردينان دي سوسير إنّ النظام لا يتعدل إطلاقا مباشرة، في ذاته، إنه ثابت، وحدها بعض العناصر تفسد دون ن تمس بالتضامن الذي يربطها بالكل."[2]

إن التاريخ هو المسؤول عن هذه الإختلالات أكثر من التغيرات الدلالية، ودي سوسير يقول: "واقع السلسلة التزامنية هي علاقات، واقع السلسلة التعاقبية، هي حوادث داخل النظام."[3]

فقد اصبحت اللّسانيات تزامنية أولا والتعاقبية ليست في ذاتها أو قابلة للمعقولية إلا بإعتبارها مقارنة لوضعيات سابقة ولاحقة للنظام. وبالتالي هي تابعة لتزامنية.

فبات ريكور يرى محدودية التحليل البنيوي ككأداة تفسير مثلما يظهر في الحقيقة أنّ البنيويين دائما ما يفترضون مسبقا المعنى السطحي الذي يحاولون تفسيره. علاوة على ذلك لم يستطع

---

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، المصدر السابق، ص8.

[2] بول ريكور، من النص إلى الفعل، تر: محمد برادة، حسان، حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط1، 2001م، مصر، ص56.

[3] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، المصدر نفسه، ص 31.

البنيويون تفسير كيف يمكن للبنى أن تنتج المعنى أو كيف يتأتى لبنية أن تتحول لبنية أخرى، ذلك لأنهم جحدوا الزمان وأهملوا أي مفهوم للتغيير ولأن البنى العميقة التي إكتشفوها كانت تعتبر سكونية ولا زمانية يعني لا تاريخانية.

من خلال دفعه لأطروحة سوسير إلى صورتها الراديكالية فأن يمسلافHjelmslev يقول: "وراء كل إجراء، يجب علينا أن نجد نظاما من خلال هذه الفرضية الثانية يفتح طريقا جديدا للمعقولية: إن التغيير المقدر كما هو، يكون لا معقوليا، فإننا لا نفهمه إلا بإعتباره ممرا من نظام إلى آخر، وهذا هو المعنى المقصود التتابعية (الزمانية)، إذن فإن النظام بمعنى تنسيق العناصر في مجموعة متزامنة، والتي نفهمها من خلال الأفضلية."[1]

المطلب الخامس: علم الدلالة في مقابل السيمياء.

لقد حاول ريكور من خلال نقد هذه المسلمات إعادة الإعتبار للغة لأن اللغة عبارة عن وساطة بين مختلف الأفكار والأشياء، وقد قام بول ريكور بالتمييز بين علم الدلالة والسيمياء، "ويعيد النظر في ثنائية دي سوسير عن اللسان والكلام"[2]

وقد وضع ريكور الخطاب في محل الكلام، فالكلام حسب دي سوسير يتميز بالتنافر وغير مضبوط، واللسان يتميز بالإنسجام، ووضع ريكور الخطاب لتمييز بين علم الدلالة والسيمياء ذلك لأن السيمياء تهتم بدراسة العلاقة بينما علم الدلالة يهتم بدراسة الخطاب والجملة، فالجملة هي وحدة الخطاب الأساسية التي يتكون منها وحسب ريكور الجملة لا يمكن أن تتجزأ على كلمات، لأنها تتكون من كلمات مختلفة، وهذه الكلمات لا تؤدي إلى إلى وظيفة إشتقاقية.

بينما علم السيمياء هو العلم الذي يدرس العلامات لكن هذه الدراسة تكون بطريقة صورية حيث يتم تقسيم وتجزئة اللغة إلى عناصرها الجزئية البسيطة المكونة لها، في حين علم الدلالة يهتم بالمعنى ودراسته، "ويؤكد ريكور أن التمييز بين علم الدلالة والسيمياء يشكل

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، المصد السابق، ص16.

[2] المصدر نفسه، ص10.

مفتاح مشكلة اللغة بأسرها، ويرى ريكور ان الخطاب هو عبارة عن واقعة لغوية، والإتجاه البنيوي يرى أنّ الأحداث زائلة بينما الأنظمة باقية، من هذه النقطة إنطلقريكور لبناء علم الدلالة. فالرسالة أو الخطاب من وجهة نظر ريكور يحتفظ بهوية الدلالية بالرغم من المسيرة بين مختلف العبارات واللغات."[1]

فالخطاب هو واقعة ولا يجب النظر إليه على أنه عارض وزائل مقارنة بالنظام أو اللغة، ويعد الخطاب عند ريكور هو مسألة وسيلة للتواصل. هذا وقد إعتمدريكور على الخطاب بإعتباره الجانب الفردي للغة كما وضعه دي سوسير لأن التميز بين اللغة والكلام جعل هذا الأخير ضعيفا، هذا ما دفع بول ريكور إلى إقامة علم الدلالة في مقابل السيمياء.

ويعلل ريكور دعوته للتعامل مع اللغة بوصفها خطابا، ويميز بين علم الدلالة والسيمياء على إعتبار أن اللغة تعتمد على وحدات هما العلامات والجمل، ويؤكد أن الجملة هي وحدات، وتتكون من الكلمات لكن لا تجزيئها كما أن الجملة تتكون من علامات ولكنها ليست علامة، وبهذا فالسيمياء هو العلم الذي يدرس العلامات شكليا وصوريا ويدرس اللغة ويجزئها إلى أجزاء المكونة وبسطية، بينما علم الدلالة هو علم الجملة ومعني مباشرة بمفهوم المعنى، والإنصراف الكلي إلى العمليات التكاملية للغة في تداخلها العفوي.

[1] المصدر نفسه، ص12.

المبحث الثاني: نقد نتائج النظرية البنيوية.

المطلب الأول: إهمال دور الذات.

"تستخلص البنيوية بما هي فلسفة نتائج جذرية حاسمة من هذا النموذج الإبستمولولوجي وتؤثر مباشرة على مسلمات الوجودية، وقبل كل شيء أطاحت البنيوية بأولية الذاتية التي كانت تلح عليها الوجودية بقوة. بنقل إطار التحليل من مستوى المقاصد الذاتية إلى مستوى البنى اللّغوية والسيميائية."[1]

إنّ البنيوية جاءت كبديل جديد للوجودية التي كانت تشدد على الذات الإنسانية حيث يقول غارودي "لقد ملت الوجودية شكلا متطرفا من النزّعة الفرديّة، فقد شدّدت اللهجة على الذّاتية وعلى مسؤولية الإنسان، وقلق الإختيار الإنساني، وفي المقابل ضّحت الوجودية بالعقلاني والموضوعي والصّرامة العلمية، لذلك تقلّص نفوذ الوجودية عندما طرحت مسألة البنية"[2]

ويعتبر هذا الوصف للوجودية، يجعل كما قلنا من البنيوية بديل للوجودية وأيضا "... ففلسفة سارتر فلسفة إختيار، فلسفة حرية، فلسفة إنسانية تاريخية، أمّا البنيوية فلسفة لا إنسانية، لا تاريخية، لا دور للذات في إطارها، أي فلسفة إكراه يُمارسه النّسق أو النّظام الضابط للبنية."[3]

إنّ الإنسان أي الكاتب أو المؤلف غير معترف به في التحليل البنيوي للنصوص أو ليس له أدنى دور في عملية التحليل، والذي يمكن هو لابد من موته. وهذه الفكرة أي موت المؤلف وإقصاءه نادى بها الفكر البنيوي الفرنسي فحسبهم إعتقادالبنويّين أنّ المؤلف يموت حين يولد النص فلا أهمية له بعد إنتاجه للنص ويمكن القول أن هذه الفكرة تعود بجذورها إلى الفلسفة المثالية في موت الذات العارفة والمتعالية، وإلى فلسفة نيتشه من خلال دعوته إلى موت الإله، وحسبهم هذه الفكرة هي تحرير الذّات من عبودية الفلسفات العقلية أي عزل المؤلف أو الكاتب عن النّص المبدع. إذن يتراءى أنّ البنيوية كمشروع فلسفي سرعان ما

---

[1] بول ريكور، بعد طول تأمل، السيرة الذاتية الفكرية، تر: فؤاد مليت، مراجعة وتقديم: د.عمر مهيبل، الناشر: الدار العربية للعلوم، لبنان، منشورات الإختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب،ص67.

[2] الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص52.

[3] عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1991م، الجزائر، ص ص34.35.

تخطّت وتجاوزت هذه الفلسفات وبخاصة منها الذاتية، فكانت بديلا جديدا "ومن بين أهم هذه الأشكال الفلسفية الذاتية، وتقديمها لبديل جديد لذا فلا غرابة إنّ إنتشرت البنيوية بشكل واسع في الستينات من القرن العشرين."[1]

إنّ الثورة على الإنسان (المؤلف) هي ثورة على جمود المعنى لأن حضور المؤلف أثناء عملية تحليل النص تقود إلى إيقاف المعنى، واللجوءإلى السياقات الخارجية للنص وتفسيره، وتأويل شكل النص بالرجوع إلى كاتبه.

فالحقيقة الوحيدة التي تعترف بها البنيوية هي أنّ النصّ نص لغوي، وليس إنتاج مؤلف ذي نفسية مميزة عاش في زمن ومجتمع معينين فهي لاتكتر بالمؤلف فهي تحلل النص في إطار بنيته اللّغوية.

ويجب أن نذكر أيضا أنه مثلما عزلت المؤلف بموته فقد عزلت أيضا القارئ وأصبح مجرد مدرب أو أداة لفك شفرات النص وإكتشاف علاقاته ولا يجب أن يتعدى دوره إذن البنيوية أهملت وأقصت الذات القارئة والمؤلفة في نفس الوقت.

لقد تم تهميش فردية المبدع حضورا ووجودا وكينونة. "إنّ تأويل النص يعني الإعتراف بفرديته التي طغت عليها في بعض المذاهب، وإذا كان النص يخضع لطائفة من القواعد المولدة أو المؤسسة، كما سبقت الإشارة في بعض الحديث، فإنه في الوقت نفسه ينمو نموًا فرديا، وقد تحدث أرسطو عن إشكالية الفرق بين الفرد والنوع."[2]

لكن هذا التصور الذي يُلغي ويقصي تماما دور المؤلف يُعدّ نوعا من الإجحاف في حقه، إذ لا يمكن تصور نص من دون مبدعه، وعبثا أن يكون، فالنص وإن إكتسب صفة السلطوية، فهو إمتداد لصاحبه، وهذا الذي أقره ميشال فوكو "إنّ من العبث أن ننكر وجود الكاتب أو المبدع."[1] وإذا كان موريس بلانشوMaurice Blanchot "قد إعتبر العمل أو المؤلف عملا

---

[1] الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص52.

[2] مصطفى ناصف، نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 2002م، جدة، السعودية، ص8.

[1] ميشال فوكو، نظام الخطاب وإرادة المعرفة، تر: أحمد السطاتي، عبد السلام بن عبد العالي، دار النشر المغربية، (د.ط)، 1985م، المغرب، ص19.

غير شخصي، بمعنى أن ليس له مؤلف أو قارئ لهيمنة التناص على الفكر البشري، فإن التأويلية قد شددت كثيرا على إعادة الإعتبار للمؤلف والقارئ معا"[1]

وركز بول ريكور على إشكالية الذات الإنسانية التي تعرضت لإنتقادات كثيرة وإستهدفت حتى وجودها من طرف فلسفات التي أعلنت موت الذات وإنقضاء النزعة الإنسانية.

إنّ ما أغفلته البنيوية حسب ريكور أنّ كل نص لا يخلو من إبداع كاتبه وحضوره مهما بلغ حجم تهميشه وإقصائه فلا يمكن أن ننكر وجود هذه الذات المؤلفة، فالبنيوية أهملت جانب مهم جدا في تحليلها يتمثل في الذات الإنسانية سواء كانت الذات المؤلفة أو الذات القارئة. والبنيوية وبفرضها مبدأ إنغلاق العلامة، وبإرتدادها ترتد الات القارئة وتتكفئ على نفسها، وهذا ما يقطع الصّلة بينها وبين الوجود في حين أنّ الإنسان جزء من هذا الوجود ولا يمكن أنّ يستقيل منه.

"إنّ فهم الذات عند البنيويين يتحقق أكثر من خلال إلتزامها بالنظام نظام الأعراف والتقاليد، إنّ بول ريكور ينظر إلى الذات لا على أساس أنها عقل فعال وإنما كفعل تأملي وفاعلية تواصلية تتجلى في الآثار التي ترسمها على بياض لصفحات (...) فالتماهي بين الذات وذاتها مستحيل وفهم الذات يتوسطه تفكيك عالم الرموز والفضاء الثقافي حيث تلتمس الذات ذاتها أو تعي عالمها بهذا الإندفاع نحو الأشياء والعلامات والرموز."[2]

فالنظام البنيوي لا يمكن فهم الذات من خلاله حيث يقول ريكور "فالنظام الذي يصرح نفسه لا وعيا لا يستطيع أبدا أن يكون في تقديري إلى مرحلة منفصلة عن فهم الذات عن طريق الذات فالنظام بذاته إنما هو الفكر خارج ذاته."[3]

فريكور يعيد مكانة الذات الإنسانية التي تم إقصاءها وإهمالها ومن ثم إحياءها من خلال التأويل، فيعتبر مشروعه الهرمينوطيقي أحد المشاريع الفلسفية المعاصرة الطامحة إلى إعادة

[1] محمد شوقي الزين، المرجع السابق، ص96.

[2] المرجع نفسه، ص62.

[3] بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، المصدر السابق، ص86.

موقعة الذات الإنسانية و قوله أنّ اللغات لا تتكلّم، بل يتكلّم الناسُ وهكذا عمل ريكور على تحرير البنيوية من بعدها الإطلاقي الذي وصفها "أنها تعالٍ بلا ذات."[1]

المطلب الثاني: إهمال دور التاريخ.

إنّ الإطار العام للبنيوية الذي يتمثل في رفض الفلسفات السابقة ومقولاتها المتمثلة في الذات والموضوع والتاريخ والإنسان لتحل محلها محاور جديدة مثل: البنية والنسق والنظام واللغة ولا شك أنّ رفض محور الذات والموضوع يعني رفض النزعة الإنسانية والتاريخية والإيديولوجية."[2] فجاءت البنيوية كرد فعل على إهتمام الماركسية بالتاريخ وأول ما قامت به هو تعطيل المحور التاريخي والنظر إليه نظرة سكونية، وبدل تفسير الظواهر الإنسانية تفسيرا يعتمد على التاريخ والنظر في تطورات وتغيرات هذه الظواهر أصبح يجب التعمق في البنيات هذه الظواهر دون الإكتراث لتاريخها أو مسار تطورها وأصبح من الواجب البحث في هذه الثوابت التي تجمع بين هذه الظواهر وتميزها عن غيرها.

ويعدّ التاريخ أكثر العلوم الإنسانية التي تعرّضت للإهانة والتجريح من قبل البنيوية، إذ رفضت أن تعطيه الأولوية والصدارة، من خلال رفضها لأن تكون الصّدارة للبعد الزماني والبعد المكاني. فالبنيوية تؤكّد على ضرورة وأولوية الدّراسة التزامنية للأحداث التاريخية على الدراسة التعاقبية، وبالتالي أضحت البنيوية نزعةً متعالية تلغي التاريخ، وتغترب بالإنسان في سجون النسق أو النظام.

فقد "بدأت البنيوية بتسليط تركيزها على البنية في مقابل التطور الزمني، وعلى الشكل في مقابل المحتوى وعلى الدّال في مقابل المدلول، وعلى اللاوعي في مقابل الوعي، وعلى الإنقطاع والصدوع في مقابل الإستمرارية والتماسك مناقضة لما يقوم به المؤرخ وقد قام منهج دي سوسير بالتقليل من أهمية العامل الزمني في دراسة اللغة وعلى التأكيد على

[1] المصدر نفسه، ص111.

[2] حمادي صمّود، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2013م، لبنان، ص224.

الطبيعة الرمزية وإعتباطية اللغة"[1]، والبنيوية تهاجم فكرة السياق التاريخي والبحث عن الجذور التاريخية للبنيات وتسلسل الزمني، وهذا يستثني مبدأ أساسي في الماركسية، وهو أن التاريخ عملية تطوّر مستمرة لا نهاية لها في المجتمع الإنساني. وأيضا ترفض مبدأ الغائية فما تهتم به البنيوية هو النسق والنظام والبنية فقط دون النظر والإهتمام بتاريخ هذه البنية وقد ظهر الكثير من البنيويين أعداء لفكرة التاريخ ومنهم كلود ليفي ستراوس والذي أغى واقصى التاريخ تماما وجاك لاكانوألتوسير هذا الأخير الذي إعتبر التاريخ سقطا من العلم.

وبالتالي "أعلنت البنيوية ثورتها وتمردها على التاريخ ورفضها له لم يكن إلاّ ثمرة من ثمرات خيبة الأمل في هذا التاريخ الذي لا يكاد يمجد شيئا غير إنتصار الأقوياء على الضعفاء، وإستغلال الأغنياء الفقراء..."[2]

فهي ترفض التاريخ ليس لكونه فقط يغير النظام من حالة إلى حالة أخرى، بل لإنتاج الثقافة والإنسان داخل اللغة التي ينتجها. هذا الذي سماه هومبلتHumbulto بمصطلح الإنتاج والذي قابله بالعمل المنجز، ليس فقط التزامنية بمعنى التغير والإنتقال من حالة نظام إلى حالة نظام آخر، بل لتوليد في حركيته العميقة، في عمل الكلام في كل واحد منا وفي المجتمع. فهي تعترف بحدوث تغيرات في البنى، إلاّ أنها تعتبر هذه التغيرات فقط إنفجارات للبنية لا علاقة لها بالتاريخ وهذه الإنفجارات ناجمة عن إصطدامها بالظروف الخارجية، أي أنها تتجاهل القوانين الداخلية للتطوّر التاريخي، أو الدور الأساسي لنمو التناقضات الداخلية في عملية التطوّر. بحيث يترك التاريخ مفتوحا، وينظر إليه كعرض لتتابع عهود وفترات متعاقبة وغير مترابطة.

وتعتبر نظرة البنيوية هذه للتاريخ و للذات الإنسانية من أهم القضايا التي ركز عليها نقاد البنيوية في الفكر الغربي المعاصر بالخصوص بول ريكور حيث يرى أنها فاشلة في

---

[1] عمرو عثمان، مراجعة كتاب التأريخ والنظرية والنصّ:"المؤرخون والمنعطف اللغوي" لإليزابيث كلارك، **مجلة تبيان**، العدد39، المجلد10، فبراير2022م.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد متباعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م، الجزائر، ص212.

معالجتها للظاهرة الزمانية إذ أنها ترى التاريخ مسيرة بمجموعة من الأنظمة التي تعجز الإرادة الإنسانية عن إحداث أي خدش في تشكيلها أو مسارها. ذلك ان العقل البشري يفكر أيضا من خلال الأنظمة، فالعقل هو العقل دائما منذ بدء التاريخ.

من خلال ما سبق يرى ريكور أنّ البنيوية أهملت وأقصت التايخ وألغت أي تطور وتغير فهي فقط تهتم بالمظام والنسق والبنية وتنظر للتاريخ نظرة سكونية، إذ أنها تؤكد على الأولوية المنهجية للتزامنية على التعاقبية وتفصل بينهما فصلا تعسفيا. ويرى أنها تتناول تطور البنى مع الزمن ليس كجملة تنعكس في المستقبل، بل على العكس، كحركة تتجه نحو الكمال ومن ثمّ الركود يعني أنها كحركة دائرية وليست حلزونية. و"إتهمامها البنيوية بإنكارها الفاعلية المعرفية الإنسانية. وبالتقليل من القيمة الميتافيزيقية للزمن، وبإنكارها للتطور التاريخي والتقدم ونفي الذات بوصفها موضوعا أصيلا للمعرفة، فالتاريخ بمنظور البنيوية لا يمنح المعنى الحقيقي للظواهر ولا يوجه الأحداث توجيها دلاليّا، وإنما التفاعل الواعي في صيغتها و التأثير فيها. وينتج عن ذلك فهم بنيوي معاكس لمفهوم التقدم، إذ ليس هناك تقدم عمودي بل تقدم أفقي فقط، وتقدما نوعي وليس تقدما في الدرجة."[1]

وحسب ريكور أن تفسيرات البنيوية لمفهومي التاريخ والتقدم لا يمكن إستعابها بسهولة "فهي تثير الشكوك في قدرات الإنسان على التغيير والإبداع، وتفتح مجالا واسعا أمام اليأس والإستسلام للمصير المحتوم دونما فرصة للخلاص."[2]

لقد أحس ريكور بشعور بالنقص وأحس بأنه محاصر بالعلوم الإنسانية وأنها بدأت تسيطر على كل مجال فكري وعلى رأسها أنثروبولوجية كلود ليفي ستراوس الثقافية وألسنية دي سوسير وتشومسكي وماركس وألتوسير وفرويد ولاكان "وقد سادت البنيوية الرافضة لميدأ التطور والتغير الزمني (Diachronie) وكذلك لكل غائية في التفسير والإكتفاء بوجهة

[1] عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، منشورات الإختلاف، ط1، 2007م، الجزائر، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص35.

النظر الآنية أي بالتعاصرية (Synchronie)، أي أنّ التنظيم البنيوي للمجموعّة موضع البحث في فترة زمنية معينة هو إلهام، وهذا يعني إستبعاد أي دور للذات أو الفاعل."[1]

أيضا عندما تتغلب الآنية على التعاقبية، "فإنه لا يقدم غير ضرب من الهيكل العظمي تكون سمته المجدرة بارزة عندما يتعلق الأمر بمضمون متضافر التحديد لا يتوقف التفكيير فيه ولا يتجلى إلا فيما سيلي من المتابعات التي يمنحها التأويل والتجديد في الوقت نفسه (...) وإذا كان التفكيك الترميز لا يمثل المرحلة الموضوعية للتفكيك وكانت هذه واقعة وجودية لفهم الذات والكينونة، فأن الفكر البنيوي يبقى فكرا لا يفكر في نفسه."[2]

المطلب الثالث: إهمال الظروف الخارجية في التفسير.

إنّ البنيوية تحاول تخطي الكثير من الدّراسات السابقة التي تعتمد المُلابسات أو الظروف الخارجية في تفسير الظواهر، لكن لابد من الإعتراف أنها خطوة تسعى للجديد، للإنزياح عمّا هو مألوف ولا سيما تراجع الفلسفة الوجودية لسارتر التي عاشت حينا من الدهر، داعية إلى الحرية الفردية أو الذاتية وكذا الماركسية. وبالعودة إلى التفسير (Explication) "يفيد التحليل والشرح و التبسيط، وإقامة الحجة والبرهان ومعرفة الأسباب والتبرير والتعليق والمناقشة والنقد، وإفحام الخصم أو القدرة على إقناعه. وقد إرتبط مفهوم التفسير عند ريكور بالسياق كغيره من المفاهيم الأخرى، ولما كان السياق هو الرموز والثقافات والنصوص، ولما كان لهذه جميعا وجودا موضوعيا مستقلا عن الأفراد من حيث هي مؤلفات أو أفعال إنسانية."[3] ويرى ريكور من بين أنماط التفسير هو التفسير البنيوي و"لقد سمى ريكور هذا النمط التفسيري بالمنهج السيميائي تأثرا بقريماسJ.Greimas ثم سماه بالمنهج البنيوي بعد ذلك، ولعله أراد تسمية الفرع بالأصل، فقد نشأ منهج التفسير البنيوي من ذلك التمييز الأساسي الذي أقامه دو

[1] بول ريكور، الذات عينها كالآخر، تر: جورج ريناتي، الكتاب الجديد المتحدة، ط1،2005م، بيروت، ص ص 16-17.

[2] بول ريكور، صراع التأويلات، المصدر السابق، ص ص85-84.

[3] لزهر عقيبي، جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، دار الأمان، الرباط، منشورات الإختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، 2012م، بيروت، لبنان، ص110.

سوسير بين اللغة والكلام، وتركيزه على اللغة كموضوع للدراسة مما أسس لعلم اللسانيات"[1] واللسانيات عند ريكور "لم تعرف إلا أنظمة وحدات خالية من الدلالات الخاصة حيث لا تحدد كل واحدة إلا بالفرق بينها وبين الوحدات الأخرى"[2]

فقد أصبحت اللغة مع البنيوية مستقلة بذاتها معبرة عن نفسها ومغلقة ومكتفية بذاتها بعيدا عن العالم الخارجي، و بالتالي هي تدعوا إلى دراسة البنيات في ذاتها بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية فهي تقوم على البناء الداخلي وعلى دراسة النصوص دراسة علمية موضوعية بإستحياء المناهج علوم الطبيعة والتركيز على الداخل المغلق، وتعني فكرة البنيوية تتلخص في نظرتها إلى اللّغة بوصفها نظاما أو هيكلا مستقلا عن صانعه وتعني بهذا أيضا المؤلف، ويكن التفسيربالنظر داخل هذا النظام أو النسق المغلق من خلال مجموعة وحداته المكونة له بوصفها تمثل كلا قائما بذاته.

وهذه الدراسة الداخلية تعتمد على اللغة وشبكة العلاقات الداخلية التي ترصدها البنيوية بحاجة إلى التفسير حتى لا يبقى التحليل مجردا ومفرغا و "ذلك أن طريقة الفهم البنيوي لا تستطيع أن تتقدم خطوة واحدة دون درجة دنيا من الفهم التأويلي، بما أن التأويل متضمن أو متخفٍ بإستمرار في حقل المعنى الذي يؤسس علاقات التشابه والتناظر البنيوية."[3]

والتفسير البنيوي للنص يعتمد على نظرتين هما، أولا: إستقلالية عن أية مُلابسات أو الظروف خارجية، ثانيا: تشابك وحداته وترابطها فيما بينها داخليا.

وحيث تبحث البنيوية عن العلاقات الداخلية، والقيم الخلافية بين عناصر البنية فإن التحليل البنيوي يتسم بأنه تحليل منبثق ومحايث، ونعني بالمحايثة "مصطلح يدل على إهتمام بالشيء من حيث هو ذاته وفي ذاته فالنظرة المحايثة هي النظرة التي تفسر الأشياء في ذاتها ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تتبع من داخلها وليس من خارجها."[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص116.

[2] بول ريكور، من النص إلى الفعل، المصدر السابق، ص85.

[3] حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، دار تنيمل للطباعة والنشر، ط1، 1992م، مراكش، ص40.

[4] جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، القاهرة، ص215-216.

فالتفسير المحايث والمنبثق يقتضي إستبعاد كل وجهات النظر المختلفة الخارجة عن النظام وعن القوانين الداخلي التي تحكم قيام اللغة بوظائفها الدلالية وما يتضح في نظامها من مقابلات وتداعيات وتجانس وتنافر. "والتفسير في البنيوية داخلي قوامه التوجه نحو الداخل اي نحو إنغلاق العلامات على نفسها، بينما التفسير في المشورعالهيرمينوطيقي هو تفسير خارجي قوامه التوجه نحو الخارج، أي نحو تعالي العلامة وإنفتاحها ومن ثم ربطها بالعالم الخارجي."[1]

ومع التسليم بثمار التحليل البنيوي في مجالات محددة للتجربة، رفض ريكور آراء البنيويين الذين سعوا إلى إختزال اللغة لنظام مغلق من العلامات لا علاقة له في التفسير بما هو خارج عنه، وإرجاع التفسير إلى الظروف الداخلية وإهمال وإقصاء الظروف الخارجية للواقع اللغوي. فاللسانيات البنيوية ذات طابع إبستمولوجي متمثل في البقاء داخل عالم مغلق على ذاته، وبمقتضى هذا القرار، فالنظام ليس له خارجا، إنه وحدة مستقلة من التبعيات الداخلية، لكنه قرار منهجي يحدث عنفًا للتجربة الإنسانية.

يرفض ريكور إقصاء الواقع الخارجي والعالم الخارجي في التفسير وهذا الذي إعتمدته البنيوية، في حين ريكور يعيد الإعتبار للغة فيسيميوطيقاريكور تتجاوز الداخل إلى الخارج وتتجاوز التفسير المغلق والداخلي للبنية، "ومهما كان النص تخيليًا أو علاماتيًا أو رمزيًا، فإنه ينقل عبر إستعاراته ولغته ومخياله العالم الخارجي أو المعطى الواقعي المادي محاكاة وتماثلا وتقابلا."[2]

ويمكن من خلال ما سبق ذكر سبب الإختلاف بين بول ريكوروقريماس ولو أنّ هذا الإختلاف منصبا على المنهجية قريماس ذات الطابع اللساني الموضوعي في حين منهجية ريكور للتفسير هي الإنتقال من التحليل العلمي الداخلي إلى التأويل الخارجي،

[1] محمد شوقي الزين، المرجع السابق، ص32.

[2] بول ريكور، بعد طول تأمل، المصدر السابق، ص125.

وإستحضارالذات والغير والعالم الخارجي فمنهجية ريكور هي منهجية مزدوجة تجمع بين الداخل والخارج عكس ما تقول به البنيوية.

فإن مقاربة ريكورالسيميوطيقية تتجاوز التفسير العلمي الداخلي، لتنتقل إلى الفهم والتأويل الخارجي، ويعني هذا أن ريكور يتعدى دلالة الشكل إلى البحث في الإحالة والمرجع، والإنفتاح على الخارج. بمعنى أنه يتجاوز الظاهر إلى الباطن، بإستعمال التفسير والتأويل.

المطلب الرابع: الطابع الإيديولوجي المقنع.

لقد إعتمدت البنيوية على الموضوعية في طرح تصوراتها النظرية والإجرائية، وتعاملها مع النصوص بشكل صارم، ولعلّ الذي صبغها بهذه الصّبغة الموضوعية هو إستعادنتها بالعلوم التجريبية والطبيعية ونتائجها لكن "البنيوية إذ تفعل ذك ليس لأجل الإرتماء في أحضان العلم التجريبي بقدر ما تسعى للتخفيف من سطوة علم النفس وعلم الإجتماع وعلم التاريخ على مجال النقد. في محاولة لتحقيق التوازنن وهو أن تطبق منهجا علميًّا على مجال غير علمي (العلوم الإنسانية) حتى تتخلص من المفاهيم النقدية القيميَّة التي أرهقت كاهل النقد وجعلته مجرد مخبرٍ لتجارب هذه العلوم."[1] والبنيويون وإرتدائهم المنهج رداء العلم يحاولون تبني المنهج العلمي الذي يبدأ من التجربة الفردية ثم الوصول إلى القوانين العامة والكلية ومن ثم يعاد تطبيق هذه القوانين على الحالات الفردية المماثلة وهذا ما يفعله العلم وهذا ما يسعى البنيويون تحقيقه فهم يريدون من خلال تحليل البنى الصغرى داخل النص الوصول إلى بنى تحكم علاقات النص ومن ثم إلى البنية الكلية. وما نقصد به الموضوعية هي دراسة أي ظاهرة تستلزم التحلي بالموضوعية وتجنب الذاتية الناتجة عن الميل أو المعتقد أو العاطفة أو إن صح القول يجب الإبتعاد عن كل الإيديولوجيات التي من شأنها أن تحجب الحقيقة أو أن تنقص من قيمتها.

[1] عبد الغني بارة، المسارات الإبستمولوجية للبنيوية "قراءة في الأصول المعرفية "، **مجلة فصول**، العدد64، 2004م، مصر، ص51.

"ونلاحظ أن البداية للبنيوية كانت تستهدف الحذر والحرص على الموضوعية فالنسق هو عبارة عن تفكير بارد يفتقر إلى الحماس، لا علاقة له بأشخاص، شيدَ بعيدًا عن الذات الفردية أو الجمعية، ولا يعترف بوجود الذات قادرة على التعبير وعلى العمل المستقل. هذا هو الموقف البنائي الفلسفي الذي إنبثق عن تمسك البنائيين بإنجازات العلم وعن رفضهم لفلسفات الذات."[1]

فالمنهج العلمي الذي تأسست عليه العلوم الطبيعية وتلهث وراءه العلوم الإنسانية من منظور غادامير مجرد وهم ففي كتابه (الحقيقة والمنهج) سنة 1960م، سعى إلى تحطيم فكرة الموضوعية، غير أن صنم العلمية والمنهج ما لبث أن تحطم وتحولت الدراسات النقدية إلى الإهتمام بالذات والقارئ، ومن ثم إبتعادها عن الموضوعية المدعاة، ومن خلال إشراك القارئ في عملية الفهم والتأويل، أن تلك الصرامة العلمية أدت بالنص إلى الإنغلاق على ذاته.

ويرى ريكور أنه يجب القول بضرورة التوجه العلمي والموضوعي يعني عدم تدخل المؤول وأفكاره المسبقة ومفاهيمه الخاصة، الأمر الذي يرى ريكور أنه غير ممكن التحقق، "وبالتالي فهو بعيد للذات مكانتها من خلال الإقرار بدورها الفعال في عملية التأويل فحتى لو تظاهرت هذه الذات بالموضوعية، إلاّ أنّ تلك النوازع والأهواء ستظل تعمل في الخفاء. لذا من الواجب ومن المستحسن الإعتراف بوجودها دون إقصاء الوهمي للذات والدعوة إلى إستبعادها في مهمة فاشلة، لابد من الإعتراف بوجودها وبفروضها المسبقة حتى يتمكن من تصحيحها ومراقبتها."[2]

[1] بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006م، الإسكدرية ، مصر، ص46.

[2] بول ريكور، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، المصدر السابق، ص11.

خلاصة:

لقد بدأ السؤال الفلسفي بسؤال الوجود عند أرسطو، وإكتسب بعدا آخرا في سؤال المعرفة عند كانط وسؤال الزمان عند هايدغر، ليأتي بول ريكور بعد ذلك ليعطيه بعده الجديد في سؤال السرد.

لقد استطاع بول ريكور نقد مسلمات النظرية البنيوية حيث إنطلق من الأساس الذي يجعل اللغة نظام مغلق على ذاته، وبالتالي تصبح اللغة نظامًا لا يعرفُ إلا نسقه الخاص ويخضع لقواعد داخلية تتحكم في هيكله وعلاقاته. ويعترف ريكور أنّ البنيوية قد ظلت طريقها حينما إعتبرت نفسها بنية مغلقة، وإرتكازها على الوصف والتحليل المحايث لشبكة العلاقات الداخلية، أيضا تعرض ريكور بنقد لنتائج النظرية من حيث إهمال الجانب الدلالة والتأويل وإقصاءها للذات الإنسانية والتاريخ فما تهتم به البنيوية هو البنية والنسق والنظام فقط وإدعاء نفسها نظرية للموضوعية بدون ذاتية وهو ما أسماه بول ريكور "فلسفة متعالية بدون ذات متعالية". وبالتالي يتجاوز ريكور النظرية البنيوية ويرفضها ويضعها مسلماتها ونتائجها تحت النقد الفلسفي

الفصل الثالث:

تقويم المنهج البنيوي في هرمينوطيقا بول ريكور

تمهيد:

إرتحل بول ريكور في مشروعه الهرمينوطيقي والذي تجسّد في الحوار المتعدد الجبهات مع البنيوية، وإنفتاحه على التحليل النفسي وقطعه لمسافات طويلة وشاقة بمساءلة المناهج ومناقشتها، قصد توظيفها وتمحيصها، حتى سميت تأويليته بتأويلية الإنعطافلإختياره هذه الطريقة المتلوية والمتعرجة. وبالرغم من سقوط البنيوية بمجئ مناهج معاكسة لها، وبالرغم من نقده لها إلا أنّ بول ريكور لم يرفض رفضا قاطعا متحيزا الدعوات التي قادتها البنيوية وقرينتها السيميائية إلى الإنشغال باللغة كنظام مغلق، بل تمكن من إستلهامها محققا نقلة تجاوزتها دون انّ تلغيها، ومن هنا ظهر ريكور كمفكر هرمينوطيقي أبى إلا أنّ يستثمر المنهج البنيوي لتأسيس تأويل قائم على الموضوعية، ولتوسيع الدلالة التأويلية وإنفتاح النص كما إستدعيريكور المنهج البنيوي ليوسع مجال تطبيقه على نظرية النص ونظرية الفعل ونظرية التاريخ ليصبح مشروعه هرمينوطيقي أهم محاولة في القرن العشرين.

المبحث الأول: في مقولة التفسير.

المطلب الأول: تحصيل الدلالة الموضوعية للنص.

التفسير(Explication) في الأصل هو عبارة عن كشف أو الإيضاح "وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء، فيوتى بما يزيله أو يفسره والفرق بينه وبين الإيضاح هو أن التفسير أعم من الإيضاح إذ هو يحمل بذكر المرادف"[1] ونعني عموما بالتفسير هو التحليل والشرح والتبسيط، وهو المرحلة التي يستخدم فيها عدة مقاربات علمية وموضوعية مثل: الفيلولوجيا والنقد الأدبي والتاريخ واللسانيات والسيميائيات، وفي هذا السياق يدرج ريكور المنهج البنيوي كمنهج للتفسير النصوص ضمن المحور التأويلي والهيرمينوطيقي وفي لحظة معينة فقط يُستخدم هذا المنهج، ويكون التفسير في خدمة الفهم والإدراك. وتعزيز الفهم بإستخدام طرق التفسير الموضوعية للنصوص، وبالتالي يعمق التفسير الفهم، وينقله من الدلالة السطحية إلى الدلالة العميقة، لذلك صاغ ريكور العبارة الشهيرة: "التفسير الأوفر من أجل فهم أفضل Expliquer plus comprendre mieux، والتي صارت شعار الهرمينوطيقا"[2] ويتم في هذه المرحلة قراءة تقنية علمية وموضوعية صرفة لبنية النص، حيث تبدأ بوضع النص على مسافة من الذات بغية ملاحظة النص ومعالجته. وفي هذا يخالف ريكورهيرش الذي يركز "على الفيلولوجيا والتحليل المنطقي المتأثر بفينومينولوجياهوسرل، وحساب الإحتمالات الذي يحدد التفسير المرجع من بين عدة تفسيرات أخرى للنص. غير أنه إستخدم كل ذلك من أجل تحديد المعنى الحرفي للفقرة أو النص الذي يدل على قصد الكاتب، وليس الدلالة التي تبدو لنا من قراءته في الحاضر"[3]، في حين ريكور يرفض ويتجاوز هذه الغاية الذاتية للتفسير، ويقر أن مقصد الكاتب رهان نفسي لا يمكن التأكد من كشفه، فما يلزم على المؤول هو تطبيق الإجراءات التفسيرية لتحديد الدلالة الموضوعية للنص.

وسمى ريكور نمط التفسير البنيوي أيضا بالمنهج السيميائي تأثرا بقريماسJ. Greimas، ثم سماه بالمنهج البنيوي بعد ذلك، وقد بدأ هذا مع التمييز الأساسي الذي صاغه دي سوسير بين اللغة والكلام، وتركيزه على اللغة كموضوع للدراسة مما أسس لعلم اللغة الحديث،

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب البناني، ط1، 1982، بيروت، ص314.

[2] بول ريكور، بعد طول تأمل، المصدر السابق، ص76.

[3] لزهر عقيبي، المرجع السابق، ص113.

وأُستخدم التفسير البنيوي في الكثير من المجالات، ومن بين ما آثار إهتمامريكور هو تطبيق المدرسة الشكلانية الروسية على رأسها بروب Propp الذي طبقه على الحكايات الشعبية، وأيضا تأثر بطبيق ليفي ستراوس للمنهج البنيوي في دراسة للأسطورة والقصة، وأيضا إستثمر ريكور أعمال جريماس، فهو يقول: "وبها الضدد كانت السيميائيات النصية عند جريماس، في نظري، أجلي بيان لهذه المقاربة الموضوعية والتحليلية والتفسيرية للنص، ليس من منظور لاسببي، بل وفق تصور بنيوي للتفسير، وهي حظيت بالأولوية في محاولاتي لإدراج التفسير والفهم فيما كنت أدعوه بالقوس الهرمينوطيقي للتأويل."[1] "ويتميز التفسير البنيوي بمراعاته لبنية النص النهائية، وببعض صوره المرحلية، وداخل بناء النص أو نظامه السيميائي والدلالي يمكن تحديد معناه الموضوعي، وتكمن موضوعية هذا التفسير في مراعاته لنسيج النص وكيفية تركيبه، وبالتالي البحث عن القواعد والقوانين التنظيمية التي تنتظم تحتها الوحدات المختلفة للنص، وعدم مراعاة قصد الكاتب لأن ذلك مدعاة لذلك للذاتية. وهو ينقلنا من الدلالة السطحية إلى الدلالة العميقة."[2] ويعني أن التفسير يعمل على دراسة الوساطات الموضوعية التي يطرحها النص، حيث تبسط بنية النص وعلاقاته الداخلية لتحديد معناه الموضوعي، وهنا ينظر للنص في بعده السيميائي فقط وليس في بعد الدلالي، ويرتبط التفسير عنده بعلم السيمياء وبالتالي هو يأخذ طابعا سيميائيا ولغويا منهجيا إبستمولوجيا وفي هذا يقول ريكور "على المستوى الإبستمولوجي أولا أقول بأنه لا يوجد منهجان منهج التفسير، ومنهج الفهم، وللكلام بدقة، وحده التفسير منهجي، أما الفهم فهو اللحظة غير المنهجية التي تتشكل في علوم التأويل مع اللحظة المنهجية للتفسير."[3]

ويأخذ التفسير طابع التصديق فهو يشتق من طبيعة النص نفسه المتمثلة في بنيته وتركيباته المختلفة، والتي تحتاج إلى تحليل لوحداتها وأنظمتها الداخلية، وفي لحظة معينة في التفسير يهتم التحليل بالقواعد والقوانين المجردة التي تنتظم تحتها الأفكار أو وحدات النص. ويفصل بين الذات عن الموضوع، ويركز على الموضوع فقط، كما أنه ينصب ويهتم على البنية النص ويتجاوز مقاصد المؤلف وجمهوره الأصلي "... وإن التفسير للقراءة يمثل ما يمثله

[1] بول ريكور، من النص إلى الفعل، المصدر السابق، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص117.

[3] المرجع نفسه، ص201.

الإستقلال النصي واللفظي للمعنى الموضوعي للخطاب."[1] فمثلا على مستوى القصة ينتقل التفسير من "مخطط الظهور على مستوى تصويري رمزي، ثم التوظيف الأنثربولوجي على مستوى تصويري رمزي، ثم التوظيف الأنثروبولجي على مستوى الفاعلين والبرامج السردية والمواضيع ات القيمة، وأخيرا المخطط النهائي لتشكيل المعنى على مستوى أعمق"[2] أيضا نذكر أنّ التفسير البنيوي لا يهتم بالتاريخ، لأنه يعتمد على فكرة اللغة نظام ثابت الي يغلب الكلام المرتبط بالحياة العملية المتغيرة، ويقوم على التزامن لا التعاقب أيضا لا يراعي السياق الإجتماعي ولا السياق الإقتصادي ودورهم في بناء النص. والتفسير البنيوي يقوم على تصنيف الوحدات الصغرى ضمن الوحدات الكبرى في لحظة معينة فقط وهذا من خلال التجانس بين مختلف المستويات اللسانية وفرض مفاهيم مجردة على النص والتركيز على النظام بدل المعنى. كما أنه لا يهتم هذا النمط من التفسير بكل ذاتية، وكل فهم سيكولوجي لتلك الظواهر الإنسانية، ويفسر كل عنصر ضمن سياق بنى تلك الظواهر أو أنظمتها والقواعد التي تحكمها.

وحسب ريكور لا ينتهي التأويل النص بمجرد تقديم تفسير له مهما كان موضوعيا وعلميا كما هو الشأن مع التفسير البنيوي، لذلك يذكر ريكور أن ليفي ستراوس لا يمكن له أن ينتهي بتحديد الوحدات الصغرى والكبرى للخطاب دون أن يتساءل عن معناها "فإن التحليل البنيوي سيرتد إلى مجرد لعبة عقيمة أو جبر سجالي"[3] وبالتالي يجب فهم أن وراء منهجية علمية ذات إنسانية وفاعلا يسأل عن معنى وجوده ومصيره، وبالتالي الأساطير ليست فقط مجرد وحدات منظمة، وإنما لها معنى يرتبط بأصل الإنسان ومصيره، وبالتالي يرى ريكور بأهمية مرحلة الأخرى التي تلي مرحلة وهي الفهم يتم فيها إكتشاف مقاصد الكاتب ومدى أصالته وعبقريته وبإتصال النص بالعالم الخارجي.

فمشروع ريكور كان يهدف إلى إقامة علم تفسير النصوص ويعتمد على منهج موضوعي صلب، لذلك إتجه بول ريكور إلى المنهج البنيوي على ألاَّ يكون حبيس إنغلاق النص، وفي الكيفية المتعالية عن ذاتية المؤول وعن قصدية المؤلف في نفس الوقت.

---

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، المصدر السابق، ص118.

[2] المصدر نفسه، ص119.

[3] المصدر نفسه، ص139.

وما يهم في هذا المنهج هو أنه يتجاوز كل ذاتية، وكل فهم سيكولوجي لتلك الظواهر الإنسانية، ويفسر كل عنصر ضمن سياق بنى تلك الظواهر أو أنظمتها.

المطلب الثاني: إدراك آثار الدلالة بطريقة محايثة.

يرى ريكور أنّ التفسير لم يعد رهين العلوم الطبيعية كما حدث مع دلتاي، وإنما أصبح آلية جامعة تنطبق على النماذج الألسنية وفيما إستثمره بول ريكور من المنهج البنيوي فأضحى النص يدرس من خلال بنيته المغلقة والتي ترى كمالها في إنكفائها على ذاتها، "فالنص بناء على ما يريد ريكور أنّ يصوغه أن يُفسر أولا بدراسة علاقاته الداخلية بكيفية المنهج البنيوي، غير أنّ مرحلة التفسير الأولية الخاصة بالمعنى الظاهر لابد أنّ تتبع بمرحلة التأويل التي تكشف عن المعنى الثاني المجازي وغير المباشر، عن طريق منح دلالات لتلك العلاقات البنيوية السطحية، وإلا كانت عديمة الجدوى، فيقع هنا التكامل بين التفسير الموضوعي والتأويل."[1]، ويفسر النص في إطار بنيته اللغوية في لحظة ما ويؤكد على دراسة النص من خلال بينته الداخلية وعلى العلاقات بين عناصره الداخلية وما يحكمها من قواعد وقوانين، فشبكة العلاقات التي ترصدها البنيوية بحاجة إلى التفسير حتى لا يبقى التحليل مجردا مفرغا "وذلك أنّ طريقة الفهم البنيوي لا تستطيع أنّ تتقدم خطوة واحدة دون درجة دنيا من الفهم التأويلي، بما أنّ التأويل متضمن أو متخفٍ بإستمرار في حقل المعنى الذي يؤسس علاقات التشابه والتناظر البنيوي"[2] ويدعوا المنهج البنيوي إلى دراسة النص في ذاته بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية وهذه الدراسة الداخلية للنص تعتمد على اللغة والحقيقة الوحيدة التي يتعرف بها المنهج البنيوي هي اللغة. ويؤكد المنهج البنيوي على الوصف والتفسير المحايث لشبكة العلاقات الداخلية مع إهمال لجانبي الدلالة والتأويل.

إن هذا الإنحياز للغة وطرق التدليل داخلها هو الذي مكنه من الإنفتاح على منجزات البنيوية دون أنّ يتبنى تصوراتها حول عمل النص: ولقد إنحازت البنيوية إلى التفسير بإعتباره أداة مركزية في الكشف عن القوانين التي يستند إليها النص من أجل بناء دلالاته،

[1] عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، ط1، 2007م، بيروت، الجزائر، ص25.

[2] حسن بن حسن، المرجع السابق، ص40.

فمهمة الناقد عندها تتوقف عند حدود وصف يفسر نمط البناء والكشف عن مجمل الأسس التي يشتغل وفقها.

ولأننا مطالبون حسب ريكور "بتملك قصدية النص ذاته وتطابقه مع مايريده النص"[1] وما يريده النص حسب ريكور "هو أنّ يُلقي بنا بداخله"[2]، وحسب ريكور يجب "مطابقة آلية بين البنية الداخلية للنص بوصفه خطاب الكاتب، وعملية التأويل بوصفها خطاب القارئ"[3]

تأثر بول ريكور بمنهجية التفسير عند قريماص ذات الطابع اللساني والموضوعي وتحصيل الدلالة المحايثة للنص، مع تغييب التاريخ والزمان والذات والمقصدية، وقد إعترفريكور بأن قريماص قد علمه كيف يقرأ النصوص قراءة بمنهجية ذات منهجية بنيوية داخلية علمية وموضوعية، إذن أخذ ريكور بالمنهج البنيوي الذي يصبوا على قراءة وتفسير النص في لحظة معينة وبطريقة محايثة ويتسع التفسير ضمن حدود النص، ويُحرم أية محاولة للخطوة خارج النص وتركيز على بنية النص وعلى منطق العلاقات العضوية بين العناصر في رصد بنية الدلالة ومفصلها الدينامي، وفي المقابل أيضا إستفادقريماص كثيرا من بول ريكور في كتابهما "سيميوطيقا الأهواء". وبالتالي إستكناه آثار الدلالة بطرقة محايثة داخلية مغلقة، تعتمد على المعنى الظاهر والسطحي للنص وهنا تلتقي الهرمينوطيقاالريكورية مع السيميوطيقاالقريماصية على مستوى المحايثة ورصد شكل المعنى والإكتفاء بالداخل وبالتالي قراءة منسجمة داخليا.

وهرمينوطيقا عند ريكور لا تقتصر على النص أو الخطاب المكتوب، بل يتسع حتى للمحاورة البسيطة بين شخصين، والفعل الإنساني عموما ولكن النص ليس إلاّ نموذجا للحقول الأخرى، كما أنّ الهرمينوطيقا تجمع بين ما يسميه ريكور الفهم القبلي Précompréhension والذي يعبر عن علاقة إنتماءAppartenance حيث يعبر عن وجود الذات في العالم وطريقتها لإدراك ذاتها ووضعيتها قبل أن تلتقي بالموضوع حيث تكون مدركة لوجودها ومسلماتها وافتراضها وأحكامها المسبقة وتقحم ذلك كله في مقاربتها المعرفية للموضوع ثم تتجه هرمينوطيقا إلى التفسيرExplication الذي ينصرف إلى

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، المصدر السابق، 48.

[2] المصدر نفسه، ص50.

[3] المصدر نفسه، ص118.

التمحيص العلمي والموضوعي والتقني ويضفي إلى فهم بعدي معمق لذلك التفسير ينصب على القواعد والأنظمة التي تشكل بنية أو نظام النص ونمطه فهو يتجه إلى بنية النص الداخلية ويتجاوز مقاصد المؤلف "تبسط في التفسير ونعرض في الخارج explicate لمجموعة من القضايا والمعاني"[1] وبالتالي ريكور محق في الإشادة بالرجوع إلى طرق التحليل منها المنهج البنيوي في لحظة معينة الذي ينبني على دراسة النصوص دراسة علمية داخلية محايثة، ويقوم بتثبيت ماهو مقرر في مرحلة ما قبل الفهم مما يعني أنّ الداخل ينبني على البنيات والثوابت التي تتحكم في العلامات، في حين يرتبط الخارج بالتأويل والمقصدية والذات الإنسانية "متابعة هذا النشاط الداخلي، والخارجي للنص عبر علاماته المنتظمة في عالمه وقدرته على تشكيل فضاء تجد فيه الذات أو القارئ أشكال تنقيبه على المعنى وأنماط سبره للدلالة او العلامة"[2] وتنتهي الهرمينوطيقا بالفهم Comprendre ذو الطابع الإنطولوجي الذي يتشكل من خلال العالم الذي يطرحه النص وإشتراع القارئ لإحدى إمكانياته فيه. "وبما أنّ العلاقة بين الفهم والتفسير هي علاقة جدلية، فإن حركة الجدل تتجه من الفهم الكلي إلى التفسير، وهذا ما يمثل اللحظة الأولى للجدل، يليها طريق العودة من التفسير إلى الفهم، التي تمثل اللحظة الثانية."[3] وكما نظر دي سوسير إلى اللغة بوصفها نظاما مستقلا مغلق يتكون من وحدات مترابطة، وكذلك طبق ليفي ستراوس المنهج البنيوي المستمد من السلنيات عند دي سوسير على الظواهر الأنثروبولوجية "بوصفها نظما: نظام القرابة، نظام الطوطمية ونظام الأساطير، تركز همه على العلاقات القائمة بين الوحدات المختلفة لكل نظام."[4]

نستخلص مما سبق أنّ بول ريكور في لحظة معينة في مرحلة التفسير يستخدم المنهج البنيوي والذي يقر بتحصيل الدلالة الداخلية للنص والمحايثة، ويرى ريكور أنه لابد من الجمع بين الداخل والخارج، ولابد من الإنتقال من التفسير العلمي إلى الفهم التأويلي، ولابد من التأرجح بين الذاتية والموضوعية، ولابد من إدخال المرجع إلى نسق العلامة، وتجاوز الدال والمدلول الشكليين من أجل تحقيق عمل متكامل ومنسجم.

---

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، المصدر السابق، ص118.

[2] بول ريكور، بعد طول تأمل، المصدر السابق، ص74.

[3] لزهر عقيبي، المرجع السابق، ص129.

[4] جون ستروك، البنيوية ومابعدها، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، 1996م، الكويت، ص16.

المطلب الثالث: إستثمار مفاهيم المنهج البنيوي.

يحدث في مرحلة الشرح والتفسير إستثمار للمقاربة البنيوية من أجل تحصيل المعنى العلمي الموضوعي للنص، وإستكناه آثار الدلالة بطريقة داخلية مغلقة، ورصد شكل المعنى والإكتفاء بالداخل وإستثمار مفاهيم اللسانيات خاصة المصطلحات التي صاغها العالم اللغوي فردينا ن دي سوسير في كتابه الشهير "محاضرات في الألسنية العامة"، وإستثمرهاريكور في مشورعه الفلسفي الجديد من خلال إستثماره للمنهج البنيوي وبعد تعديل فيه ليضعه كمقاربة علمية موضوعية في مرحلة التفسير. من بين المفاهيم التي إستثمرهاريكور وأخذ بها في مشورعهالهرمينوطيقي هي مفهوم علم السيمياء، والبنية ومفهوم التزامن والتعاقب وغيرها من المفاهيم الأخرى.

1-مفهوم البنية Structure: هو مفهوم تحدد حديثا وإنتشر في مجالات العلوم الإنسانية، وقد تبدو كلمة بنية التي جاء منها لفظ البنيوية كلمة عادية ومأوفة، تقترب في أذهاننا من معنى (الشكل أو الهيكل أو الصورة) ولعل هذا ما أدى ببعض الباحثين إلى القول "كل شيء إلا أنّ يكون معدوم الشكل تماما، له بنية ومن ثم لا يضيف هذا شيئا إلى ما في ذهننا سوى ملاحة مستلذة"[1]

ويعرفها العالم اللّغوي لالاند بقوله: "إنّ البنية هي كل مكوّن من ظواهر متماسكة، أو متضامنة بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل."[2]

جاءت البنية تتويجا لجهود دي سوسير في إضفاء الطابع العلمي على الدراسات اللغوية، و أيضا جهود الشكلانين الروس، وجاءت البنية تدعوا لدراسة النص في ذاته بعيدا عن كل مؤثرات الخارجية وهذه الدراسة الداخلية للنص ترتكز على اللغة. فالحقيقة التي تعترف بها البنية هي أن النص نص لغوي وليس إنتاج مؤلف ذو نفسية مميزة عاش في زمن ومجتمع محددين، بينما ريكور يرفض هذا الطرح الذي يؤدي بإلغاء المؤلف ويعيد الإعتبار للذات الإنسانية، أيضا هي تحلل النص في إطار بنيته اللغوية، وتؤكد على العلاقات بين عناصره الداخلية وعلى المعنى الموضوعي للنص مما يجعل ريكور يستثمر هذا المفهوم الذي يجعل

[1] صلاح فضل، المرجع السابق، ص59.

[2] اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت،2001، ص125.

لبنية النص دلالة موضوعية، والنص بناء على ما يريد ريكور أنّ يصوغه يفسر بدراسة بنيته الداخلية والكشف عن القواعد والقوانين التي تحكمها، والعلاقات التي تربط بين وحداتها المكونة لبنية النص، ورصد شكل دلالة الموضوعية للنص. وما يعيبه ريكور على البنيوية كونها فرضت إنغلاق بنية النص على ذاتها مما يؤدي إلى التقوقع وأدى بريكور إلى القول بالإنفتاح التأويلي الذي سيؤول إلى عدد لا حصر له من التفسيرات والفهم للنصوص.

2- مفهوم التزامن والتعاقب: لقد إهتم علماء اللغة قبل ظهور مؤلف دي سوسير بالجانب السكوني الآني الوصفي في اللغة بإعتبارها مرآة تعكس البنى المنطقية، وأيضا كان المنهج السائد في القرن 19م هو المنهج التاريخي المقارن حيث ربطوا دراسة اللغة بالدراسة التاريخية.

ومع ظهور مؤلف دي سوسير "محاضرات في الألسنية العامة" بدأ التمييز واضحا بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية إذ فصل بين هذين النوعين من الدراسة، وتعد ثنائية دراسة التعاقيبية والدراسة التزامنية إحدى أهم الركائز المنهجية التي أسس عليها دي سوسير نظريته اللسانية، وقد فرق بين الدراسة السكونية (الآنية) للغة أي تلك الدراسة التي تدرس اللغة في لحظة زمنية معينة وفي حالة معينة أما الدراسة التعاقبية هي التي تهتم بدراسة التغيرات اللغوية عبر الزمن. ويولي دي سوسير أهمية بالغة للدراسة الآنية التي تتخذ من العلاقات بين عناصر النظام الواحد موضوعا لها في فترة زمنية محددة، أي تهتم بوصف اللغة في حالة معينة فتبحث في بنيتها وتحلل عناصرها الداخلية لتصل إلى تحديد العلاقات الموجودة بينها، "تقوم على رصد العلاقات بين الأشياء المتواجدة أو المتوافقة على أساس ثابت، ليس للزمان فيه أي دخل، وهذا يؤدي إلى دراسة الظاهرة في آنيتها أو في صورتها البنيوية"[1] ولأن إرتباط والتفاعل الداخلي بين عناصر النظام اللغوي من جهة وإستقلال اللغة عن العوامل الخارجية من جهة أخرى امر تتطلب دراسته وصفيا وآنيا، ومن ثم معرفة ما يطرأ على هذا النظام من تغيير يتطلب دراسة تعاقبية.

وإستثمرريكور هذا المفهوم التزامن والتعاقب في مرحلة التفسير من خلال تطبيق المنهج البنيوي لغرض رصد دلالة الموضوعية للنص فيستخدم ريكور الدراسة التزامينة لوصف البنية في لحظة زمينة معينة وتحلل عناصرها الداخلية ووصف العلاقات الداخلية لها، وأيضا

[1] فردينان دي سوسير، المرجع السابق، ص129.

يستخدم ريكور المنهج التاريخي للكشف عن التغيرات والتطورات التي تحدث للبنية عبر أزمنة مختلفة.

وأيضا إستدعى ريكور مفهوم التزامن والتعاقب لقراءة النص الديني ولم يكن هدفه خلق التعارض بين التأويل البنيوي والتأويل الهرمينوطيقي بقدر ما كان يسعى إلى الإمساك بالمعنى ومعرفة أشكال تحوله داخل النسق أو خارجه لأنه "لايوجد تحليل بنيوي من غير عقل تأويلي لتحويل المعنى"[1]

3- مفهوم السيمياء: السيمياء أو السيميولوجيا كما عّرفها دي سوسير هي عبارة عن علم يدرس الإشارات أو العلامات داخل الحياة الإجتماعية. والنص الذي يتلى دوما هو "اللغة نظام علامات يعبر عن أفكار، ولذا يمكن مقارنتها بالكتابة، بأبجدية الصم إليكم بأشكال اللياقة، بالإشارات عسكرية، وبالطقوس الرمزية، إلخ.. على أنّ اللغة هي أهم هذه النظم على الإطلاق"[2] إن دي سوسير يضع العلامات داخل أحضان المجتمع ويجعل اللسانيات فرعا من السيمياء خلاف لغيره من العلماء، وهكذا فإن علم السيمياء هو ذلك العلم الذي يدرس قلب الإشارات في قلب المجتمع، ويهتم بإنتاج الإشارات أو العلامات وإستعمالها، بحيث تبرز الأنظمة السميائية من خلال العلاقات بين العلامات.

ويعلل ريكور دعوته إلى التعامل مع اللغة بوصفها خطابا، يميز بين علم الدلالة وعلم السيمياء، حيث يستثمر هذا المفهوم في مشروعه هرمينوطيقي على إعتبار أن اللغة تعتمد على وحدتين هما العلامات والجمل ويؤكد ريكور أن الجملة هي وحدات، وتتكون من كلمات لكن لا يمكن تجزئتها، كما أن الجملة تتكون من علامات ولكنها ليست علامة وبهذا "فالسمياء العلم الذي يدرس العلامات، علم شكلي صوري بحيث غنه يعتمد على تجزئة اللغة إلى أجزائها المكونة"[3]

---

[1] بول ريكور، نظرية التأويل، المصدر السابق، ص96.

[2] بييرجير، علم الإشارة –السيميولوجيا- تر: منذر عّياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1988، دمشق، ص23.

[3] بول ريكور، نظرية التأويل، المصدر السابق، ص31.

المبحث الثاني: توسيع مجال تطبيق المنهج البنيوي.

المطلب الأول: على مجال نظرية النص.

يعتبر الحديث عن مفهوم النص أمر صعب بإعتباره مادة معرفية، خاصة عندما يتعلق بمفهوم التأويل والهرمينوطيقا التي تعد من أعقد المباحث الفلسفية التي تحيل إلى الجدل والنقاش بين مستويات الخطاب الفلسفي في أشكاله المتعددة، من إبستمولوجياوفينومينولوجيا، وسيميائيات وغيرها من هذه الأشكال التي ارتحل معها بول ريكور من خلال مشروعه الهرمينوطيقي، والذي تمثل في حوار متعدد الجبهات مع البنيوية، وإنفتاحه على التحليل النفسي، وقطعه أشواط طويلة وشاقة بمساءلة المناهج ومناقشتها، قصد توظيفها وتمحيصها، حتى سميت تأويليته بتأويلية الإنعطاف، ومشروع ريكور كان يهدف إلى إقامة علم التفسير النصوص يعتمد على المنهج موضوعي صلب حيث إتجه إلى علم الدلالة واللسانيات، والإبستمولوجيا والمنهج البنيوي على ألا يكون النص حبيس إنغلاق النص، وفي الكيفية المتعالية عن ذاتية المؤول وعن قصدية المؤلف في الوقت نفسه، وهنا لابد من فهم النص ويكون الفهم عند ريكور هو الإمساك بسلسلة من الدلالات الجزئية في فعل تركيب ككل واحد، أي أنه يعبر عن معنى شامل للموضوع، ويرتبط تفسير النص بتحديد المعنى الموضوعي والعلمي للنص "فلا ذاتية المؤلف ولا ذاتية القارئ هي النقطة المرجعية الحقيقية، وإنما النقطة المرجعية هي المعنى التاريخي نفسه بالنسبة لنا في زمن الحاضر."[1]

وبول ريكور لم يرفض المنهج البنيوي بل حاول إدراجه ضمن فلسفته الهرمينوطيقية ويظهر ذلك أكثر في تطبيقه على مستوى النص، وإعتمد على التفسير البنيوي لضمان تحليل موضوعي لخطاب النص، والذ يمكنه من معرفة دلالته الموضوعية. ولكنه لا يقف عندها بل يربطه بخطاب التأويل يعني يربطه بخطاب المؤول الذي بعدما يدرك دلالة النص الموضوعية، يحاول أن يبحث عن العالم الذي يفتح أمامه من خلال الفهم.

ويطبق بول ريكور جدل الفهم والتفسير على النصوص ويستثمر المنهج البنيوي في ذلك ويطبقه على مختلف النصوص كالنصوص الدينية والحكايات الخيالية وإستعارات، وما يهمنا هو أن نعرض كيف إستثمرريكور هذا المنهج في كل من هذه النصوص المختلفة؟

[1] عادل مصطفى، فهم الفهم "مدخل إلى الهرمينوطيقا"، دار النهضة العربية، ط1، 2003م، بيروت، لبنان، ص211.

1-النصوص الدينية: ويطبق بول ريكور جدلية التأويل على هذا النوع من النصوص الدينية للأناجيل بالرغم من أنه لايطرح نفسه كمفسر لاهوتي وإنما فيلسوف يناقش التأويلات المختلفة لتلك النصوص التي تعتمدها عدة مدارس غربية، أهمها مدرسة يال اللاهوتية الجديدةNewyaletheologyschool وأيضا مفكرين أمثال رودلف بالتمانR.Bolthmenوفون راد V. Rad ، وأيضا لكوكLa cocque حيث ألف معه كتاب مشترك بعنوان "التفكير في الكتاب المقدس" ويمثل الكتاب دليل على تأويل ريكور للنصوص الدينية.

إنّ الهرمينوطيقا الإنجيلية والتي تعتبر حالة خاصة من الهرمينوطيقا الفلسفية النصية، لأن النص الإنجيلي كأي نص آخر ينطبق عليه ما ينطبق على النصوص الأخرى من مقولات التأويل فهو يأخذ من نسيج النص معناه الموضوعي وأيضا يدعو القارئ إلى العالم الذي يفتحه وفهم القارئ ذاته.

وبما أنّ النص المسيحي كأي نص آخر يقوم فهمه عند ريكور على السذاجة وأحكام هشة ترتبط بالمبشر وحياته الشخصية وكذلك مجتمع المبشر "ليس هناك دليل يمكنه أن يستند إلى التجربة ولا العنصر العقلاني، بهذا المعنى، يبدو الصليب جنون بالنسبة للعالم وفضيحة بالنسبة للعاقل."[1] مما جعل ريكور يقر بضرورة التفسير نظرا للفهم المسبق ذو طابع الإحتمالي للنص، وبما أن النص الديني نص مكتوب مما يعني أنّ له بنية تركيبية تسمح له بتفسيره كأي نص آخر، ويرى ريكور أنه من الضروري أن يجد علم التفسير العلمي النقدي مكانا له وسط علم التفسير الإيماني، لإنتاج ما يسمى "قراءة متعلمة instruit" من خلال إتخاذ المؤول مسافة بينه وبين النص الديني والقراءات المتغيرة له عبر التاريخ. وعند التفسير بالضبط يحاول ريكور الإستفادة من كل المناهج "التفسير التاريخي النقدي بحسب أنماطه المتعددة، الطريقة السيميائية، صور متعددة للتحليل الأدبي، القارءة القانونية للتناص أو المقاربة النمطية"[2] مما يعني ريكور حاول أن يستثمر مختلف المناهج ويوظفها في قراءته، لأنه مدرك تماما أنّ المناهج المذكورة عند توظيفها في قراءته ستصصبح في حالة حوار،

[1] المرجع نفسه، ص116.

[2] المرجع نفسه، ص 118.

وتمارس النقد على بعضها البعض، لأنها مرتبطة إما بالكلام أو الكتابة أو باللغة أو بالمعنى أو بالنص وتعاون وتعاون كل هذه المناهج تساعد القارئ من تفسير النص الديني.

كما أنه أخذ بالمنهج البنيوي في تفسير النص الديني من أجل تحصيل الدلالة الموضوعية للنص والكشف عن الدلالة المحايثة لبنية النص والكشف على قواعد تلك البنية والكشف عن علاقات الداخلية للنص ولا يقف ريكور عند هذا الحد بل يتبعها بعملية الفهم أي فهم الذات لذاتها أمام النص، وبالتالي هرمينوطيقا بول ريكور لا يجب أنّ تستبعد مرحلة الفهم الموضوعي البنيوي، إنما فحسب أنّ تضعها في حدودها الطبيعية أي كمرحلة في طريق الفهم لا التأويل بل إن علينا أن ندفع التحليل البنيوي إلى درجة من العمق ينكشف معها معناه العميق وبهذا المعنى، "فإن الأشياء التي يقولها النص لا تنكشف عبر قراءته ساذجة وإنما عبر سبر أغوار إبنبائهوإنتظاماته، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الحقيقة والمنهج ليسا طرفا ثنائية كما يقول بذلك غادامير وإنما هما عنصري تفاعل جدلي."[1] ومن خلال تطبيق التفسير البنيوي على النص الديني ينقلنا من الدلالة السطحية إلى الدلالة العميقة ، ومن خلال تفسير البنى المختلفة للنص ، والحفر عن الدلالة الموضوعية للنص وهذا التفسير للدلالات العميقة، لايمكن أنّ يظهر الدلالة في صورة تأليفية، ولايمكن لتلك الدلالة أن تنشط من جديد إلا من خلال الفهم، فمهمة الفهم هنا هو تأليف وتنشيط المعنى الحاصل لتلك التفسيرات الموضوعية والذي يعبر عن كلام الله الذي جاء في النص وتاريخ تأويله. ويفضل ريكور الربط بين تلك الطرق والإستفادة من بعضها البعض في تطبيقها على النص الديني، ويقدم ريكور مثال على إستفادة طرق التفسير من بعضها البعض في التطبيق على النص الديني، "وإمكانية التحليل الوظيفي البنيوي لرولان بارت R.Barthes على تأويل فون راد لنصوص العهد القديم الذي طبق عليها التفسير التاريخي النقدي، حيث ميز بارت بين ثلاث مستويات في النص"[2]:

"1. مستوى الوظائف: أي أسس الأفعال المشكلة لبنية القصة.

2. مستوى الأفعال: أدوار الأشخاص الأساسية أو الفاعلين.

[1] بول ريكور، من النص إلى الفعل، المصدر السابق، ص390.

[2] المصدر نفسه، ص398.

3. مستوى السرد: النظر إلى النص كاتصال سردي داخل النص."[1]

وقد لاحظ ريكور أن فون راد إستخدم المنهج البنيوي عفويا في تطبيقه للتفسير التاريخي النقدي على نصوص العهد القديم، وطبق المنهج البنيوي على المستويات المذكورة، خاصة على مستوى الوظائف حيث رتب الوحدات الصغرى في وحدات كبرى حتى شكل إلى ما يسمى بالمتتالية الكبيرة L'hexateuque والتي تعبر عن الإنسجام بين الوحدات الجزئية والتي تحدد طبيعة الإيمان.

وإستدعىريكور مفهوم التزامن والتعاقب لقراءة النص الديني ولم يكن هدفه خلق التعارض بين التأويل البنيوي والتأويل الهرمينوطيقي بقدر ما كان يسعى إلى الإمساك بالمعنى ومعرفة أشكال تحوله داخل النسق أو خارجه لأنه "لايوجد تحليل بنيوي من غير عقل تأويلي لتحويل المعنى"[2]

وتصبح الهرمينوطيقا النصوص الدينية عند ريكور مرهونة "بتحليل بنيتها للكشف عن نظامها ونسقيتها عبر إمتلاك القواعد النحوية والفيلولوجية والقانونية، وبتوظيف جملة من المناهج المتاحة ويصير التفسير ابستيمولوجيا سعيا نحو فهم النص عبر تحليله ونقده"[3]

2- في الحكايات:

يرى ريكور في الحكاية نصا كأي نص من النصوص الأخرى، ويتمظهر إهتمام بول ريكور بالحكاية وأشكالها المختلفة لاسيما الحبكة والسرد والزمن، ويميز ريكور الحكاية من النصوص التي يمكن للذات أنّ تفهم ذاتها من خلالها. وإهتمريكور بالحكايات الخيالية بإضافة إلى الحكايات الأسطورية والشعبية وتأثر بالأهمال الفلسفية لكل من ليفي ستراوسوقريماسوالدرسةالشكلانية الروسية. والحكايات عند بول ريكور ترتبط بالواقع الإنساني وتعبر أكثر عن الأفعال الإنسانية، ليست مجرد صيغ شكلية باهتة مجردة، وأيضا تحدث عن الحكيايات الواقعية وإعتبر أنّ حقلها الأساسي هو التاريخ ليؤكد أنّ الحكايات ترتبط بالواقع الإنساني حتى أنّ الحياة الإنسانية هي حياة يمكن أن تحكى، "وإذا صح أنّ الخيال لا يكتمل

[1] لزهر عقيبي، المرجع السابق، ص201.

[2] بول ريكور، من النص إلى الفعل، المصدر السابق، ص117.

[3] المصدر نفسه، ص118.

إلا بالحياة، وأن الحياة لاتفهم إلا بالحكايات التي نرويها عنها، إذن فالحياة "المبتلاة بالعناء" بمعنى الكلمة الذي غستعرناه من سقراط، في حياة تروى"[1]

تأثر ريكور بأرسطو وأخذ منه مصطلح المحاكاة Mimésis والذي إعتبره الأساس الذي يعبر عن مقولات التأويل وعن جدلية الفهم والتفسير المرتبطة بها، وبما أنّ الحكاية هي محاكاة لأفعال إنسانية في الواقع بالتالي فهي ترتبط بالفهم المسبق للفعل الإنساني أو ما يسميه ريكور بالمحاكاة1 أو التصور المسبق Préfiguration، وهي عند ريكور "تقليد أو إعادة تمثيل الفعل، هو أولا الفهم المسبق لما هو الفعل الإنساني، لعلم دلالته، لرمزيته، لزمنيته، وعلى هذا الفهم المسبق المشترك عند الكاتب وقارئه يؤخذ وضع حبكة ومعها المحاكاة النصية والأدبية"[2] وبالتالي القارئ عندما يقرأ الحكاية يكون محمل بفهم مسبق للفعل الإنساني ولخصائصه الزمنية والرمزية والدلالية، مما يجعل فهمه إفتراضي وهش ويحتاج التحقق من مصداقيته من خلال التفسير ما يطلق عليها بالمحاكاة2 أو الصياغة التصويرية Configuration والتي تقوم بدور الوساطة حيث تظهر الحكاية كل ما له صورة في الحياة العملية للفعل الإنساني، فالحبكة تقوم مقام التفسير إذا تقوم بدور "وساطة لها سعة أكبر بين الفهم المسبق، وما يمكن إعتباره الفهم البعدي لنظام الفعل وخصائصه الزمنية"[3]، حيث يستخدم ريكور في الجزء الثاني من كتابه "الزمن والقصة" عنوانا يدل فيه على ذلك هو "التفسير عن طريق وضع الحبكة" مما يعني أن دور الذي تقوم به الحبكة في القصة يدل على دور التفسير أيضا.

يتطلب التفسير المنهج البنيوي الذي يعتبره ريكور مشروعا وضروريا، بما أنّ الحبكة وحدة ديناميكية وهي تتغير وتأحذ أشكالا مختلفة في التاريخ الأدبي، وترتبط بعوامل خارجة عن الحكاية، وتفسير الحكاية لا يجب أنّ ينتهي أنّ ينتهي بإدراج الوحدات الصغرى في الوحدات الكبرى، وتفسر البنية السردية للحكاية من خلال علامات النص فقط "فقد كانت الوظيفة السردية من حيث هي متميزة عن فكرة الصورة أو البنية السردية تقود نحو فكرة مفادها أنّ

[1] دايفد وورد، الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، بيروت، ص53.

[2] بول ريكور، الزمان والسرد، تر: سعيد الغانمي، فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006م، بيروت، ص125.

[3] المصدر نفسه، ص127.

الحكاية هي فعل خطاب يتوجه إلى خارج ذاته، ونحو تمحيص المجال العملي لمتلقيه"[1] وهو يقول بتحليل رولان بارت للحكاية حيث يأخذ ثلاث مستويات: الوظائف، الافعال، الإتصال السردي بين الحاكي والمستقبل من خلال بنية النص، ويؤكد ريكور أن الأشخاص لا يعرفون كذوات نفسية وفردية وإنما من خلال وظائفهم، وأن الإتصال السردي لا يمكن أن يبقى على مستوى النص ولا على مستوى التناص، لأن النص يرتبط بتاريخ معين ويوجه إلى قارء له تاريخ ووضعية أخرى بالتالي إختلاف تأويل الحكاية. وقرماس كان يريد أن أن يصل إلى تقليص منطقي للحكاية إنطلاقا من نقص أولي وكان يستشكل إلى أي مدى يمكن للمتوالية المتسلسلة للحكاية أنّ تعطي خطوة لبنية غير دائمة أصلا؟ وبالنسبة لريكور تبقى البنية تعاقبية دائما لأن الوساطة التي تضعها الحكاية بين البنية السطحية والبنية العميقة ليست فقط منطقية، وإنما تاريخية أيضا. أما ف.بروب الذي ينتمي إلى المدرسة الشكلانية الروسية حيث درس الحكايات الشعبية الروسية، وحاول أن يهيئ شكل أولي لمظاهرها الرمزية أما بالنسبة لريكور "المتتالية الوظيفية لبروب تبدو متسلسة على مستوى البنية السطحية لذلك يجب الحفر للقب على البنية العميقة ذات الطبيعة غير الدائمة achronique فليس تعدد الرموز مجرد تغيرات لقالب أصلي"[2]

وبإستثماررريكور للمنهج البنيوي على مستوى الفهم الإبستمولوجي لنقل القارئ من المعنى السطحي إلى المعنى العميق للحكاية، وبالتالي يعتبر ريكور المنهج البنيوي مشروعا وضروريا. والحكبة عند ريكور هي محاكاة للفعل الإنساني والزمن هو مفهوم نفسي ووجودي والإستناد أيضا إلى علوم النص "بعلم أن علما للنص يستطيع أن يؤسس حول الطابع المجرد للمحاكاة2، ويستطيع أن لا يعطي إعتبارا إلاّ للقوانين الداخلية للعمل

الأدبي، دون مراعاة لمصعد النص أو مهبطه"[3] وبالتالي ينتهمي الفهم الإبستمولوجي بتحديد المعنى الموضوعي للحكاية.

[1] بول ريكور، بعد طول تأمل، المصدر السابق، ص93.

[2] المصدر نفسه، ص201.

[3] المصدر نفسه، ص218.

3- في الإستعارة:

يأخذ بول ريكور في كتابه "الإستعارة الحية" مفهوم الإستعارة على مستوى السيمياء وعلى مستوى علم الدلالة وأيضا على مستوى الخطاب العام والفلسفي الخاص، حيث ينظر للإستعارة على مستوى البلاغة كمجاز مبني على المماثلة "وهي ترتكز على الإنتقال وعلى توسيع لمعنى الكلمات"[1] ويرى ريكور في الإستعارة أنها نص كأي نصوص الأخرى ويطبق عليها جدلية الفهم والتفسر مثلما يطبق على الحكاية أيضا فكلاهما التفسير أكثر يؤدي إلى فهم أفضل.يبدأ تأويل الإستعارة بالفهم المسبق يتمثل في التطبيق اللغوي لما هو شعري فالقارئ للإستعارة لاشك أن له تصور مسبق للإستعارة المستمدة من التطبيق اللغوي في الحياة العملية، لكن هذا الفهم يبقى هشا وتقريبيا وإفتراضي ثم تأتي مرحلة الإدراك الدلالة الجديدة في العبارة والتي تتجاوز المعنى التام الحرفي للإستعارة من حيث هي كلمة أو إسم في البلاغة أو السيمياء، وتعني "إستبدال لإسم غريب بشيء أخر، لا يحصل بذلك على تسمية خالصة"[2] وفي لسانيات الجملة يرتبط أكثر بعلم الدلالة عند ريكور، وبالتالي تفسير البنيوي للإستعارة مرتبط بتحليل بنيتها البلاغية والدلالية والسيميائية مما يعني أن المفهوم معقد نوعا ما. ولم يهتم ريكور بمعنى الإستعارة فقط بل تجاوز ذلك وإهتم أيضا بمرجعها فإذا كانت ترتبط ببنية لغوية شعرية ودلالية وفلسفية وبلاغية، فإن دلالتها لا تنحصر في اللغة بل تحيل إلى مرجع خارجها. ويمثل الإنتقال من معنى الإستعارة إلى مرجعها الإنتقال من التفسير إلى الفهم أو الإنتقال من الفهم الإبستمولوجي والذي يتم فيه تحليل بنية الإستعارة وتحصيل المعنى لها إلى الفهم العميق أو الفهم التطبيقي والذي يعني إنصهار الآفاق بين الفهم الأنطولوجي والفهم الإستمولوجي وهو مايمكن تطبيقه على وضعية الفرد.

[1] بول ريكور، الإستعارة الحية، تر: جوروج الزيناتي، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، 2016م، بيروت، ص23.

المطلب الثاني: في مجال علم التاريخ.

لقد بدأ إهتمام ريكور بالتاريخ منذ بداية مساره الفلسفي وكتب الكثير حوله من أهم تلك الكتابات "التاريخ والحقيقة L'histoire et la vérité" وكتابه "الزمن والحكاية Temps et récit" وكتاب "الذاكرة، التاريخ، النسيان La mémoire, L'hisoire, et l'oublie" هذا الأخير الذي يعتبر شامل لأفكار ريكور في التاريخ ويميز ريكور بين كتابة التاريخ historiographie والتي تعني "مجموعة الوثائق التاريخية المرتبطة بمسألة محددة، أو العمل الذي يقوم به كاتب التاريخ"[1] وبين كاتب التاريخ historiographe وهو "الكاتب المكلف رسميا بكتابة تاريخ زمانه، أو تاريخ حاكم"[2] مما تعني كتابة التاريخ الرسمي لدولة ما أو حضارة ما من خلال وثائق التي تدل على ذلك التاريخ.

والتاريخ الذي يتكلم عنه ريكور هو التاريخ هو تاريخ المؤرخين وليس التاريخ العام، أي عمل المؤرخ نفسه أو ما يسمى بالتأريخ، والتاريخ أقرب للسرد القصص الماضية الحقيقية المتميزة عن القصص الخيالية والأسطورية وهذه الصفة ما تجعل التاريخ نصا يمكن قراءته وتأويله كالنصوص الأخرى.

وبين ريكور في القسم الثاني من كتابه "الذاكرة، التارخ، النسيان" عن علاقة الكتابة التاريخية بجدل الفهم والتفسير عنده، وميز ريكور بين ثلاث مستويات لتلك للعملية التأويلية حيث تبدأ بإستنطاق الوثائق والشهادات المتعلقة بالحادثة التاريخية المحددة وحسب ريكور أن وراء عملية الإستنطاق المؤرخ للوثائق يكمن فهمه المسبق للتاريخ وتجربته الخاصة في فهم الوقائع التاريخية ويريد التأكد من الإفتراضات التي وضعها ويقول ريكور "ليس هناك وثيقة دون سؤال، ولا سؤال دون مشروع تفسير"[3] مما يعني بضرورة تفسير والبحث عن مصداقية الوثائق والشهادات وفي هذا المجال إهتمريكور بالتفسير التاريخي الذي هذب من جدل الفهم والتفسير، أيضا عززه بنماذج مختلفة من التفسيرات، من بينها التفسير البنيوي الذي يقر ريكور بمشروعيته وضروريته والذي يعني تحليل البنية ووحداتها المختلفة والعلاقات فيما بينها وتحديد المعنى الموضوعي للقصة تاريخية ودلالتها، ومع إحتكاكريكور بفلسفة التحليل

[1] المصدر نفسهن ص39.

[2] المصدر نفسه، ص41.

[3] بول ريكور، الذاكرة، والتاريخ، النسيان، تر: جورج الزيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009، بيروت، ص120.

اللغوية الإنجليزية فيما يتعلق بالتاريخ مما أضاف للمنهج البنيوي ما يسمى بالوظيفة السردية وهذا ما يوضحه في كتابه "الزمن والقصة1" حيث يبين فيه الإتجاه السردي الدي يتميز بنقد للإتجاهالنومولوجي العلمي بمعنى يرفض إخضاع التاريخ للقوانين العامة، ويؤكد أنها حوادث فردية متميزة. "وبما أنّ تلك الحوادث يمكن روايتها مثلما تروى الحكايات الخيالية، فغن التاريخ ليس إلا حكايات تحكمها حبكات تفرض نفسها على المؤرخ، من حيث إنها تجمع أحداث الحكاية وتعرضها بشكل متسلسل، ولذلك فالسرد هو الواسطة الضرورية لتفسير الحكاية التاريخية"[1] فإن ريكور يؤكد على دور السرد في التفسير التاريخي ما يعني أنّ تحكي معناه أن تفسر....

المطلب الثالث: في مجال نظرية الفعل.

يرى ريكور أن الفعل خاصية مميزة للإنسان إلى جانب التفكير يحدث تغييرا في العالم، وإطلاقا من هذا التغيير يعرف ريكور الفعل بأنه: "يعني القيام بشيء معين من أجل أنّ يحدث تغييرا في العالم"[2]

إنّ نظرية الفعل وتأويل الفعل كغيرها من النظريات التي إهتم بها بول ريكور ودرسها وتعمق فيها وإهتم بتفاصيلها، حيث كان مجمل حديثه فيها عن الجمع والربط بين الفهم والتفسير، وبما أنّ ريكور ينظر للفعل على أنه نص أو يشبه نص من خلال إشتراكهما في نفس الخصائص الموضوعية وإستقلالها الدلالي على فاعليها وإمكانية كتابتها وتثبيتها وإنفتاحها على تأويلات متعددة.

ويؤكد أيضا ريكور أن العلوم الإنسانية تهتم بالأفعال الإنسانية وبالتالي هي أيضا تخضع لجدل الفهم والتفسير من خلال أن مجال دراستها هو الأفعال، وبما أن ريكور يرى أن الفعل هو بمثابة نص أو مشابه له نظرا لإشتراكهما في نفس الخصائص الموضوعية للنص مثلا الإستقلال الدلالي للفاعل وإمكانية كتابتها وتثبيتها وإنفتاحها على تأويلات متعددة، وبالتالي يبدأ ريكور بتأويل الفعل على أنه نص له معنى، والفعل يطرح نفسه في البداية ككل، كجملة من المواضيع والأفكار والمظاهر، ويكون قصد الفاعل أمر خفي وبالتالي يكون الفهم في البداية مجرد إفتراضات تحتاج إلى التحقق من مدى مصداقيتها. وهنا تحتفظ العلوم الإنسانية

[1] لزهر عقيبي،المرجع السابق، ص230.

[2] محمد شوقي الزين، المرجع السابق، ص ص32،33.

بالفرق بين التحقق والتصديق تماما مثلما تحافظ عليه نظرية النص، من خلال أن التصديق تعتمد عليه العوم الإنسانية والإجتماعية، أما التحقق هو أمر تجريبي فيمتنع فيها، "التصديق ... هو منطق اللايقين والإحتمال الكيفي، إنه يسمح بإعطاء معنى مقبول لمفهوم علوم الإنسان"[1] ثم تكون الإفتراضات الناتجة عن الفهم الأنطولوجي الأولي بحاجة إلى التصديق من خلال التفسير حيث يستخدم ريكور المنهج البنيوي "لأن الفعل الإنساني في طبيعته رمزي، فإنه لا يتوانى في تأكيد توسيع الفكر البنيوي على الحوادث الإجتماعية والإنسانية، لأنه يضمن البحث عن العلاقات داخل الأنظمة السيميائية لتلك الظواهر، وهذا ما يستدعي تشكيل مفهوم الحافز أو الباعث."[2] بمعنى أنه في لحظة معينة يستخدم ريكور المقاربة البنيوية من أجل تحصيل المعنى الموضوعي للفعل وأيضا من أجل عن بنية الفعل كونه نص وعن العلاقات التي تربط بين وحدات المكونة للبنية والكشف عن القواعد التي تحكمها، والبحث في ثنايا البنيات ودراستها لغويا. وأيضا إعتبرريكور أنّ الظواهر الإجتماعية ذات طابع رمزي وأنها تخضع للمنهج البنيوي السيميائي الذي يتسع لوحدات أكبر من العلامة والجملة. ففي العلوم الإجتماعية ننتقل من تأويلات سطحية إلى تأويلات عميقة وذلك بواسطة التحليل البنيوي، والعلوم الإنسانية تمنح لعلم الدلالة دور الوساطة بين التفسير والتملك وهذه الوساطة تجعل تملك يتخلى عن الطابع السيكولوجي والذاتي ويتزود فقط بالطابع معرفي إبستمولوجي، وهنا يظهر دور المنهج البنيوي في تفسير الفعل الإنساني. حيث يتميز المنهج البنيوي "بمراعاة لبنية النص النهائية، وببعض صوره المرحلية، وداخل بناء النص أو نظامه السيميائي والدلالي يمكن تحديد معناه الموضوعي، وتكمن موضوعية هذا التفسير في مراعاته لنسيج النص وكيفية تركيبه، وبالتالي البحث عن القواعد والقوانين التنظيمية التي تنتظم تحتها الوحدات المختلفة للنص، وعدم مراعاة قصد الكاتب لأن ذلك مدعاة للذاتية. وهو ينقلنا من الدلالة السطحية إلى الدلالة العميقة."[3]

لم يقف ريكور إلى هذا الحد لتأتي ما بعد التفسير مرحلة الفهم التطبيقي وهو يمثل إنصهار الآفاق بين الفهم الأنطولوجي من جهة والفهم الإبستمولوجي من جهة أخرى، وهو فهم عميق

[1] بول ريكور، من النص إلى الفعل، المصدر السابق، ص112.

[2] لزهر عقيبي، المرجع السابق، ص241.

[3] لزهر عقيبي، المرجع السابق، ص ص117،116.

ومايمكن تطبيقه على وضعية الفرد، والإنتقال من معنى النص إلى مرجعه الأمامي وهو العالم الجديد الذي ينفتح أمامه.

وبالتالي الفعل الإنساني يخضع لمعايير الموضوعية للنص، كما يخضع لمقولات التأويل فهو نص ذو دلالة ومعنى مستقل وعمل مفتوح ويمكن دراسته بتطبيق مقولات التأويل المتمثلة في الأساس في الفهم القبلي والتفسير والفهم، أي بتطبيق جدلية الفهم والتفسير كما يعتبر ريكور العلوم الإنسانية التي يشكل الفعل الإنساني موضوعا لها أنموذجالذلك التطبيق.

المطلب الرابع: في مجال الترجمة.

لقد إهتم بول ريكور بقضية الترجمة في بداية مساره الفلسفي، من خلال ترجمة لكتاب "أفكار مسيرة لفينومينولوجيا إيدموند هوسرل" إضافة إلى إهتمامه بالترجمات المختلفة للإنجيل، وكذا إتصاله بالفلسفات المعاصرة منها الإنجليزية والأمريكية مما زاد عمث في تجربته مع الترجمة حيث يعتبرها نموذجا للفهم وتأويل، فهي ذلك اللفظ الذي يؤخد إما "بالمعنى الحصري لنقل رسالة شفوية من لغة معينة إلى لغة أخرى، وإما نأخذه بالمعنى الواسع كمرادف لتأويل كل مجموعة دالة داخل نفس الجماعة اللسانية"[1] فالمترجم يهتم بنقل الرسالة من لغة إلى أخرى وبالتالي يهتم بفهم دلالات لغة معينة قبل نقلها إلى لغة أخرى ولا يخرج ذلك عن عملية الفهم التي من خلالها يقترب من معاني النصوص المختلفة " فعملية الفهم هي بمثابة إختراق للنص، وهو ما إنتبه إليه هايدغر وتشكل مجتمعة صيغة هجومية موحدة وضرورية ... وبخصوص الترجمة من لغة إلى أخرى فإن مثل هذه الإستراتيجية هي عبارة عن غزو وإستهلاك إلى حد الإنهاك"[2]، فهي بمثابة إكتشاف للآخر، وهي بسط لثنايا أفكاره وتفسيرها وتأويلها وإعادة صياغتها، وبما أن الترجمة مرادفة للتأويل فعندما يتحدث ريكور عن الترجمة "فإنه يقاربها من جهة نظر تأويلية، أي أنّ الترجمة، مهما كانت تقنية، فإنها في نهاية المطاف عبارة عن تأويل"[3]وبإعتبار الترجمة فهما وتأويلا للنصوص الأجنبية فهي لا تخرج عن جدل الفهم والتفسير، فالمترجم يبدأ بفهم مسبق للنص يقوم على إفتراضات هشة مرهونة

[1] عز الدين الخطابي، في الترجمة والفلسفة السياسية والأخلاقية، منشورات عام التربية، الدار البيضاء، ط1، 2004م، المغرب، ص27.

[2] عز الدين الخطابي، الترجمة والتأويل، مجلة العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2010م، بيروت، ص105.

[3] بول ريكور، عن الترجمة، تر: حسين خمري، منشورات الإختلاف، ط1، 2008م، الجزائر، ص11.

تتراوح بين إمكانية الترجمة الصداقة أو عدم إمكانيتها يعني بين إمكانية إدراك المعنى الكامل للنص أو إستحالة الحصول على ذلك المعنى مما يجعلها تحتاج التحقق من مدى صدقها من خلال التفسير ويقدم ريكور عدة تفسيرات لهذه الإفتراضات التي تواجه المترجم وهنا يعرض ريكور موقفين متعارضين: أحدهما نظري يطرح إمكانية الترجمة أو عدم إمكانيتها، فأما الذي يرى بإمكانية الترجمة النص لا يرى في مسالة تعدد اللغات مشكلة، "لأن وراء تعدد اللغات توجد بنيات مخفية، وقد تحمل هذه البنيات أثرا للغة أصلية مفقودة وجب إكتشافها، أو أنها تكمن داخل رموز قبلية أو بنيات كونية"[1] مما يعني البحث عن بنية اللغة الأصلية وضرورية يستخدم ريكور المنهج البنيوي للبحث عن تلك البنيات وعلى القواعد المشكلة لها وعن علاقاتها الداخلية، وبالتالي علينا الدفع بالمنهج البنيوي إلى درجة من العمق ليكشف عن البنيات للغات الأصلية "فإن الأشياء التي يقولها التص لا تنكشف عبر قراءة ساذجة وإنما عبر سبر أغوار إنبنائهوإنتظاماته". والبحث عن بنية اللغة الأصلية كانت مهمة الفيلسوف ليبتنز. أما الذي يرى بعدم إمكانية الترجمة حيث يرى في تعدد اللغات إشكالا حقيقيا، من حيث أنّ اللغات تختلف في تركيباتها النحوية وفي البنيات الصوتية والكلامية والدلالية مما يعني العودة للمنهج البنيوي والكشف عن كل بنية لهذه اللغات ووحدات المركبة لها وقواعد التي تحكمها ثم الإقرار بالإختلاف بين بنيات اللغات المختلفة ويرى ريكور في هذا الإختلاف بين البنيات يجعل الترجمة أمرا مستحيلا ويذكر أسطورة بابل والتي تحكي كيف كان الناس يحملون لغة واحدة في الأصل، وثم تدخل الله ليجعل الناس شعوبا وقبائل مختلفين في لغاتهم وأساليب حياتهم، ولكنه يرى في هذا التفسير تجاهل لواقع الترجمة بغض النظر عن إمكانية الترجمة من عدمها، ويجب الحديث عن "مابعد بابل" حيث التعدد اللغوي يفرض ممارسة الترجمة وهي ممارسة لا تخرج عن إطار جدل الأمانة والخيانة حيث أمانة تشد المترجم إلى الإخلاص والموضوعية، بيما الخيانة هي شعور يراود المترجم لأنه يدرك أنه مهما بذل جهد لن يصل إلى ترجمة طبق الأصل، هذا مايعبر عنه ريكور بالفهم الإبستمولوجي حيث يستخدم مناهج مختلفة خاصة المنهج البنيوي ذلك للكشف عن بنية اللغات الأصلية وإختلافها ولتحصيل المعنى الموضوعي المراد ترجمته، ثم من المعنى

[1] عز الدين الخطابي، الترجمة والتأويل، المرجع السابق، ص31.

الحاصل بالتفسير إلى مرجع النص الأمامي حيث يتجاوز النص سياقه الأصلي ليرتبط بسياق المترجم أو القارئ وثقافته ووضعيته، وبالتالي ينفتح النص على العالم الجديد.

خلاصة:

لقد رفض ريكور البنيوية كنظرية بينما إستثمر المنهج البنيوي على مستوى التفسير وجعله كمقاربة يستعين بها لرصد المعنى الموضوعي للنص والكشف عن بنيته الداخلية، ولقد أخذ ريكور المنهج البنيوي ووجد فيه مشروعيته ومصداقيته، وعلميتهوموضوعيته في التأويل شريطة تجاوز الإنغلاق النصي الذي كان رهينة في البنيات الداخلية، وذلك لتفسير النصوص وتأويلها، وهذا ما كان يدعوا إليه بول ريكور في إستقلالية النص في معناه عن مقاصد المؤلف السابقة. كما وسع تطبيقه في تأويل العديد من المجالات كالنصوص الدينية والإستعارات والحكايات الشعبية أيضا في النصوص السياسية وعلى مستوى العلوم الإنسانية بإعتبارها أفعال إنسانية وعلى مستوى نظرية التاريخ أيضا.

خاتمة

في الواقع لا توجد خاتمة، فلكل نهاية إمتداد يبدأ به كل شيء ... .

يستهوينا كمنشغلين بالبحث الفلسفي عندما نجوب في ظّل الإشكاليات الفلسفية التي لها قابلية للتحليل والنقد، فإننا بعد تلك البداية لبحثنا وأشكلته التي دفعتنا إلى البحث والتعمق والدراسة للمعضلات التي كانت محل طموح لبحثنا، حتى وجدنا أنفسنا نعالج موضوعا يحمل في طياته أبعادا إبستمولوجية بمساءلتنا عن تجاوز بول ريكور للنظرية البنيوية، وعن تقويمه للمنهج البنيوي الذي تقوم عليه تلك النظرية، وبعد تلك المسيرة الفلسفية ها نحن الآن وصلنا إلى ختام بحثنا لهذه الإشكالية ونعرض النتائج التالية:

أولا عُدنا للنظرية البنيوية وإنبثاقها في الفلسفة الغربية الحديثة حيث تبلورت البنيوية مع العالم اللساني فردينان دي سوسير الذي انطلق من فكرة جديدة وحديثة لموضوع اللسانيات وهي دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، وتسلسلت هذه الفكرة عند كل من رومان جاكبسون وكلود ليفي ستراوس.

إن البنيوية بمعناها الواسع هي طريقة بحث في الواقع ليس في الأشياء الفردية بل في العلاقات بينها، وهو مايعبر عنه دي سوسير بالنسق أو النظام من العلاقات الباطنية له قوانينه الخاصة المحايثة، من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والإنتظام الذاتي، على نحوٍ يفضي فيه أي تغير في العلاقات إلى تغير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه لمجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على معنى.

حيث تفرض علينا البنيوية مبدأ اللاإختيار ومبدأ إنغلاق العلامة، وبإرتدادها ترتد الذات القارئة وتتكفئ على نفسها، وهذا مايقطع الصلة بينها وبين الوجود في حين أن الإنسان جزء من هذا الوجود ولايمكن أن يستقل عنه، كما أنها تُلغي التاريخ وترفض دراسة البنية وتطورها التاريخي فهي تُشيد بالوحدة والإنسجام والصرامة والدقة العلمية في تناول الموضوعات، هذه النتائج جعلها بول ريكور كأساس إنطلاقه لنقد هذه النظرية التي تؤكد على إنغلاق العلامة اللغوية أو ما يسمى بنسقية اللغة، حيث يحذر ريكور من البنيوية كإيديولوجيا التي تُغيب الإنسان الفاعل الحر، لذلك هو يفرق بين البنيوية والمنهج البنيوي.

وننطلق في الفصل الثاني بتوضيح النقاط التي أخذها ريكور كأساس لنقد النظرية البنيوية وتمثلت في مسلمة إنغلاق العلامة على ذاتها مما أدى إلى موت المؤلف وإقصاء الذات الإنسانية وكل الظروف الخارجية في التفسير، مما يعتمد التفسير البنيوي على تحليل مغلق للبنية، أيضا فرضت البنيوية سبق الدراسة الآنية والوصفية على الدراسة التعاقبية، ذلك بدراسة ووصف البنية وتحليلها في زمن معين وتجاهل التغيرات والتطورات الحاصلة لها في أزمنة مختلفة مما يؤدي برفض وإلغاء التاريخ، أيضا لكي يعيد ريكورالإعتبار للغة بوصفها وساطة بين الأفكار والأشياء، فإنه يميز بين علم الدلالة والسيمياء ويعيد النظر في ثنائية اللسان والكلام، وقد وضع ريكور الخطاب في محل الكلام، فالكلام حسب دي سوسير يتميز بالتنافر وغير مضبوط، واللسان يتميز بالإنسجام، ووضع ريكور الخطاب للتمييز بين علم الدلالة والسيمياء، ذلك لأن السيمياء تهتم بدراسة العلاقة بينما علم الدلالة يهتم بدراسة الخطاب والجملة، فالجملة هي وحدة الخطاب الأساسية التي يتكون منها علم السيمياء، العلم الذ يدرس العلامات لكن هذه الدراسة تكون بطريقة صورية حيث يتم تقسيم وتجزئة اللغة إلى عناصرها الجزئية البسيطة المكونة لها، في حين علم الدلالة يهتم بالمعنى ودراسته.

في حين ينتهي الفصل الثالث بتحديد ما استثمره ريكور من البنيوية ألا وهو منهجها، فهو يرفض البنيوية كنظرية بينما يأخذ بالمنهج البنيوي كونه منهج موضوعي صلب بحيث يوظف المنهج في التفسير والتحليللبنيات في لحظة معينة، مما يعني تفسير بنيوي لبنية النص بطريقة محايثة بعيدا عن الظروف الخارجية وبإقصاء دور الذات الإنسانية من أجل تحصيل المعنى الموضوعي للنص، والتفسير البنيوي يتميز بمراعاته لبنية النص النهائية وبعض صوره المرحلية، وداخل بناء النصأو نظامه السيميائي والدلالي يمكن تحديد معناه الموضوعي، وتكمن موضوعية هذا التفسير في مراعاته لنسيج النص وكيفية تركيبه وبالتالي البحث عن القواعد والقوانين التنظيمية التي يتنتظم تحتها الوحدات المختلفة للنص وعدم مراعاة قصد الكاتب لأن ذلك مدعاة للذاتية، والمنهج البنيوي ينقلنا من الدلالة السطحية إلى الدلالة العميقة. وأخيرا ينتهي البحث بالتطبيق حيث أبرزتُ أمثلة تطبيقية مختلفة للتفسير

البنيوي، في النصوص الدينية وفي الحكايات والإستعارات والعلوم الإنسانية والتاريخ والترجمة، ويؤكد ذلك على وحدة فلسفة بول ريكور، وأن تلك الوحدة لا تتناقض بتطبيق منهج التفسير في النصوص بالرغم من إختلاف في طبيعتها وحقولها وأغراضها. وأخيرا يمكن الإجابة عن الإشكالية المحورية حيث يتجاوز ريكور النظرية البنيوية ويرفضها في حين يأخذ بالمنهج البنيوي ويدرجه ضمن فلسفته الهرمينوطيقية. وتبين لي أن الفسلفة الهرمينوطيقية الريكورية هي فلسفة منفتحة على جميع الفروع المعرفة العلمية التي يستثمرها في مشروعه التأويلي ويفندها ويبطلها في آن واحد، هي فلسفة تؤمن بتعدد التأويلات مما يجعلها فلسفة حوارية من خلال التنوع المعرفي الذي أراده بول ريكور أن يكون سبيلا لها، ويمكن توسيع هذا البحث على مناهج أخرى غير البنيوية التي أخذ بها بول ريكور في مشورعه الهرمينوطيقي مثلا الوجودية والتفكيكية والماركسية وأنثروبولوجيا الدين ونظريات اللغة...

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر المترجمة إلى اللغة العربية

1. ريكور (بول): الإستعارة الحية، ترجمة: جورج الزيناتي، محمد الولي، الناشر: دار الكتب المتحدة الجديد،ط1، بيروت، 2016م.

2. ريكور (بول): الذات عينها كالآخر، ترجمة: جورج ريناتي، الناشر: الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2005م.

3. ريكور (بول): الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة: جورج الزيناتي، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2009م.

4. ريكور (بول): الزمان والسرد، ترجمة: سعيد الغانمي، فلاح رحيم، الناشر: دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2006م.

5. ريكور (بول): بعد طول تأمل، السيرة الذاتية الفكرية، ترجمة: فؤاد مليت، مراجعة وتقديم: د.عمرمهيبل، الناشر: الدار العربية للعلوم، لبنان، منشورات الإختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب.

6. ريكور (بول): صراع التأويلات، دراسات هيمينوطيقية، ترجمة: منذر عياشي، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت_ لبنان، 2005م.

7. ريكور (بول): من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة، حسان بورقية، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط1، بيروت، 2001م.

المراجع باللغة العربية:

1. ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، الناشر: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، لندن، 2007م.

2. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر 1999م.

3. أحمد مومن، اللسانيات بين النشأة والتطور، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008م.

4. بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، مصر، 2006م.

5. بن مرزوق نصر الدين، دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، الناشر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011م.

6. ثامر ابراهيم المصاروة، البنيوية بين النشأة والتأسيس، دراسة نظرية.

7. جابر عصفور، نظريات معاصرة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1998م.

8. جمال شحيد، في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان جولدمان، الناشر: دار ابن رشد، ط1، بيروت، 1982م.

9. حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، الناشر: دار تنيمل للطباعة والنشر، ط1، مراكش، 1992م.
10. حمادي صمّود، في نظرية الأدب، الناشر: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2013م.
11. روجيه غارودي، البنيوية، فلسفة موت الإنسان، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت_ لبنان، 1979م.
12. زكريا ابراهيم، مشكلة البنائية، الناشر: مكتبة مصر، ط1، القاهرة، 1975م.
13. الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، بحث في أصوله ومبادئه وتطبيقاته، الناشر: دار الهدى، ط1، لبنان، 2001م.
14. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة، 1980م.
15. الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، الناشر: دار القصبة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2001م.
16. عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، الناشر: دار النهضة العربية، ط1، بيروت_لبنان، 2003م.
17. عبد الجليل مرتاض، دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث، الناشر: منشورات ثالة، ط1، الجزائر، 2005م.
18. عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الناشر: الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، ط1، بيروت، 2007م.
19. عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد متباعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، الناشر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

20. عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، الناشر: دار المعارف، مصر_الإسكندرية، 1989م.
21. عدنان حب الله، التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان، الناشر: دار الفرابي، ط1، بيروت_لبنان، 2004م.
22. عدنان حسين قاسم، الإتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الناشر: الدار العربية للنشر والتوزيع،مصر، 2001م.
23. عز الدين الخطابي، الترجمة والتأويل، الناشر: مجلة العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2010م.
24. عز الدين الخطابي، في الترجمة والفلسفة السياسية والأخلاقية، الناشر: منشورات عام التربية، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2004م.

25. عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1991م.
26. عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، الناشر: منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، 2007م.
27. فؤاد أبو المنصور، النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، الناشر: دار الجيل، ط1، بيروت، 1985م.
28. لزهر عقيبي، جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، دار الأمان، الرباط، منشورات الإختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.
29. محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، الناشر: الدار البيضاء، ط1، المغرب، 1987م.
30. محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، الناشر: دار العودة، ط1، بيروت، 1979م.
31. محمد خشفة، تأصيل النص، المنهج البنيوي عند جولدمان، الناشر:مركز الإنماء الحضاري، ط1، بيروت، 1997م.
32. محمد سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، الناشر: دار المعرفة الجامعية للنشر، ط1، مصر، 2002م.

33. محمد شوقي الزين، تأولاتوتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002م.
34. محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، الناشر: دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت_لبنان، 2004م.
35. مصطفى السعدني، المدخل اللغوي في نقد الشعر، الناشر: دار المعارف للنشر، ط1، الإسكندرية_مصر، 1987م.
36. مصطفى تولين، مدخل إلى الأنثربولوجيا، الناشر: مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2012م.
37. مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها وطبيعتها وموضوعها ومفاهيمها، الناشر: الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2006م.
38. مصطفى ناصف، نظرية التأويل، الناشر: النادي الأدبي الثقافي، ط1، جدة، 2002م.
39. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، لبنان، 1983م.
40. نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، الناشر: عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، 2001م.

41. نور الهدى لوش، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الناشر: المكتبة الجامعية، مصر، 2000م.

42. وائل السيد عبد الرحيم، تلقي البنيوية في النقد العربي، الناشر: دار الطليعة، ط1، لبنان، 1986م.

43. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الناشر: دار العربية للعلوم، ط1، بيروت، 2008م.

المراجع المترجمة إلى اللغة العربية

1. أديثكريزويل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، الناشر: دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 1993م.

2. آن جغرسون، ديفيد روبي، النظرية الأدبية الحديثة، ترجمة: سمير مسعود، الناشر: وزارة الثقافة، ط2، دمشق، 1922م.

3. أوزياس، جان ماري، البنيوية، ترجمة: ميخائيل مخول، الناشر: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية، دمشق، 1972م.

4. بييرجير، علم الإشارة، السيميولوجيا، ترجمة: منذر عيّاشي، الناشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1988م.

5. جون ستروك، البنيوية ومابعدها، ترجمة: محمد عصفور، الناشر: عالم المعرفة، الكويت، 1996م.

6. جون ليتشه، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ترجمة: فاتن البستاني، الناشر: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2008م.

7. دان سبيربر، البنيوية في الأنثروبولوجيا، ترجمة: علي قانصو، الناشر: دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2008م.

8. دايفد وورد، الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشر: المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1999م.

9. رومان جاكبسون، الإتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة:علي حاكم صالح، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2002م.

10. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، الناشر: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، المغرب، 1988م.

11. شادلي مصطفى، البنيوية في علوم اللغة، ترجمة: سعيد جبار، الناشر: زواية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.

12. شولز روبرت، البنيوية في الأدب ، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط7، دمشق، 1914م.

13. كريز ويل إديث، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، الناشر: دار سعاد صباح، ط1، الكويت، 1993.

14. كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، دمشق، 1977م.

15. ميشال فوكو، نظام الخطاب وإرادة المعرفة، ترجمة: أحمد السطاتي، عبد السلام بن عبد العالي، الناشر: دار النشر المغربية، ط1، المغرب، 1985م.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

1. اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد، الناشر: منشورات عويدات، باريس، ط2001،2م.

2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الناشر: دار الكتاب البناني، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1982م.

3. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، الناشر: دار القباء الحديثة، ط5، القاهرة، مصر، 2007م.

رابعا: المجلات والدوريات

1. بلعفير محمد، البنيوية النشاة والمفهوم، الناشر: مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد16، العدد15، تاريخ:30سبتمبر2017.

2. رضوان جودت زيادة، ستراوس ونقد الإناسةالبينائية، الناشر: صحيفة المستقبل، العدد1543، السبت 28شباط2004م.

3. عبد الغني بارة، المسارات الإبستمولوجية للبنيوية "قراءة في الأصول المعرفية "، الناشر: مجلة فصول، العدد64، 2004م.

4. علي أسعد وطفة، البنية اللاشعورية للغة عند جاك لاكان، الناشر: مجلة مغربية للترجمة في العلوم الإنسانية، 1988م.

5. عمرو عثمان، مراجعة كتاب التأريخ والنظرية والنصّ: "المؤرخون والمنعطف اللغوي" لإليزابيث كلارك، الناشر: مجلة تبيان، العدد39، المجلد10، فبراير2022م.

6. نزار الريس، إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية المنهج البنيوي أنموذجا، الناشر: مجلة البصائر، المجلد 12، العدد2، أيلول 2008م.

الملخص

ملخص: جاءت هرمينوطيقا بول ريكور كرد فعل على لسانيات البنية والعلامة والتفكيك، من أجل الخروج من عالم داخلي مغلق مسيج بالثوابت البنيوية والثنائيات الضدية، إلى عالم أوسع وأرحب يعتمد على التأويل والذات والقصدية. هكذا عمل بول ريكور على تحرير البنيوية من بعدها الإطلاقي الذي وصفها فيه بأنها (تعالٍ بلا ذات)، وإذا جاز لنا أن نقلب مقولته فيمكن القول أنريكور كان بنيويا لنقد التأويلية، وتأويليا لنقد البنيوية، فكان بالتالي بنيويا ولا بنيويا في آن واحد. حيث تجاوز البنيوية كنظرية وأول ارتباطاتها بالذات والايديولوجيا والتاريخ، في حين أخذ بالمنهج البنيوي وحاول إدراجه في فلسفته الهرمينوطيقية كأحد الأبعاد الابستمولوجية في قراءة النص قراءة موضوعية توضح دلالته الموضوعية والعلاقات التي تربط عناصره.

الكلمات المفتاحية :هرمينوطيقا، بنيوية، التأويل، الذات، القصدية، المنهج.

Summary :Paul Ricoeur's hermeneutics came as a reaction to the linguistics of structure, sign, and deconstruction, in order to get out of a closed inner world fenced with structural constants and antagonistic dichotomies, to a broader world that relies on interpretation, subjectivity, and intentionality. This is how Paul Ricoeur worked to liberate structuralism from its absolute dimension, in which he described it as (come without a self), and if we are permitted to turn his saying, we can say that Ricoeur was structuralist for the criticism of hermeneutics, and hermeneutics for the criticism of structuralism, and therefore he was structuralist and not structuralist at the same time. Where he went beyond structuralism as a theory and its first links to self, ideology and history, while he took the structuralist approach and tried to include it in his hermeneutic philosophy as one of the epistemological dimensions in an objective reading of the text that clarifies its objective significance and the relationships that bind its elements**.**

Keywords: hermeneutics, structuralism, interpretation, self, intentionality, method

Résumé : L'herméneutique de Paul Ricœur est venue en réaction à la linguistique de la structure, du signe et de la déconstruction, pour sortir d'un monde intérieur clos et clôturé de constantes structurelles et de dichotomies antagonistes, vers un monde plus vaste qui repose sur l'interprétation, la subjectivité et la intentionnalité. C'est ainsi que Paul Ricœur a travaillé à libérer le structuralisme de sa dimension absolue, dans laquelle il le qualifiait de (venir sans soi), et s'il est permis de détourner son propos, on peut dire que Ricœur a été structuraliste pour la critique de l'herméneutique, et l'herméneutique pour la critique du structuralisme, et donc il était à la fois structuraliste et non structuraliste. Là où il dépasse le structuralisme comme théorie et ses premiers liens avec soi, l'idéologie et l'histoire, tandis qu'il prend l'approche structuraliste et tente de l'inclure dans sa philosophie herméneutique comme l'une des dimensions épistémologiques d'une lecture objective du texte qui en éclaire la signification objective et les relations qui lient ses éléments.

Mots clés : herméneutique, structuralisme, interprétation, soi, intentionnalité, méthode.